



مركز "الفائمه" للتحرى الحاسوبى - باصنهان

مجال تمثيل الولى الفقيه فى امور الحج و الزياره (Ψ)

www.Ghaemiyeh.com

www.Hajj.ir



تاريخ الشيعة وعقيدتهم

تأليف: محمد باقر
أستاذ علي حقايق الشيعة الإمامية في تاريخهم

تأليف: محمد باقر
المؤلف: محمد باقر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تاريخ الشيعة و عقيدتهم

كاتب:

جعفر سبحاني

نشرت في الطباعة:

مشعر

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١١	تاريخ الشيعة و عقيدتهم
١١	اشارة
١١	المقدمة
١١	اشارة
١٢	سمات العقيدة الإسلامية
١٦	الفصل الاول: الشيعة في موكب التاريخ
١٦	مبدأ التشيع وتاريخ نشأته
١٩	الشيعة في كلمات المؤرخين وأصحاب الفرق
٢٠	رواد التشيع في عصر النبي (ص)
٢١	الكتب المؤلفة حول رواد التشيع
٢٢	الشيعة في العصرين: الأموي والعباسي
٢٢	الشيعة في العصر الأموي
٢٥	بيان معاوية إلى عقاله:
٢٦	ضحايا الغدر الأموي:
٢٧	الشيعة في العصر العباسي
٣٢	فرضيات وهمية لنشأة التشيع
٣٢	اشارة
٣٣	الفرضية الأولى: الشيعة ويوم السقيفة!
٣٤	الفرضية الثانية: التشيع صنع عبدالله بن سبأ
٣٤	اشارة
٣٦	نظر المحققين في الموضوع:
٣٨	عبدالله بن سبأ اسطورة تاريخية:

٤٠	الفرضية الثالثة: التشيع فارسي المنشأ
٤٠	اشارة
٤١	شهادة المستشرقين على أن التشيع عربي المبدأ
٤٢	الفرضية الرابعة: التشيع فارسي المنحى
٤٤	الفرضية الخامسة: الشيعة ويوم الجمل
٤٥	الفرضية السادسة: الشيعة ويوم صفين
٤٥	الفرضية السابعة: الشيعة والبويهيون
٤٦	الفرضية الثامنة: الشيعة والصفويون
٤٨	الفصل الثاني: الأئمة الإثنا عشر
٤٨	اشارة
٤٩	الإمام الأول: «أميرالمؤمنين على بن أبي طالب ٧»
٤٩	اشارة
٤٩	تنصيب على (ع) للإمامة
٥١	شذرات من فضائله
٥٢	الإمام الثاني: «أبو محمد الحسن بن علي المجتبى ٨»
٥٢	اشارة
٥٣	شهادته ودفنه (ع):
٥٤	الإمام الثالث: «أبو عبدالله الحسين بن علي ٨ سيدالشهداء»
٥٧	الإمام الرابع: «علي بن الحسين بن علي زين العابدين (ع)»
٥٨	الإمام الخامس: «أبو جعفر محمد بن علي الباقر ٨»
٥٩	الإمام السادس: «أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق ٨»
٦٢	الإمام السابع: «أبو الحسن موسى بن جعفر الكاظم ٨»
٦٣	الإمام الثامن: «أبو الحسن علي بن موسى الرضا ٨»
٦٥	الإمام التاسع: «أبو جعفر محمد بن علي الجواد ٨»

الإمام العاشر: «أبو الحسن علي بن محمد الهادي ٨»	٦٦
الإمام الحادي عشر: «أبو محمد الحسن بن علي العسكري ٨»	٦٧
الإمام الثاني عشر: «المهدي بن الحسن المنتظر ٨»	٦٨
إشارة	٦٨
أُسئلة مهمّة حول المهدي (عج)	٧٠
السؤال الأول: كيف يكون إماماً وهو غائب؟ وما فائدته؟	٧٠
السؤال الثاني: لماذا غاب المهدي ٩؟	٧٣
السؤال الثالث: الإمام المهدي أطول عمره؟	٧٣
السؤال الرابع: ما هي علائم ظهوره؟	٧٤
الفصل الثالث: دور الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية	٧٦
تمهيد:	٧٦
بلدان الشيعة وأماكن تواجدهم	٩٠
الفصل الرابع: مع الشيعة الإمامية في عقائدهم	٩٢
تمهيد:	٩٢
الفرق بين الشيعة الإمامية والمعتزلة	٩٤
الفرق بين الشيعة الإمامية والأشاعرة	٩٦
الفرق بين الشيعة الإمامية وسائر الفرق	٩٩
المسألة الأولى: «وجوب تنصيب الإمام علي الله سبحانه»	٩٩
المسألة الثانية: «عصمة الإمام»	١٠٢
إشارة	١٠٢
حقيقة العصمة	١٠٢
«الدليل على لزوم عصمة الإمام بعد النبي (ص)»	١٠٣
ما هو المراد من الظالم؟	١٠٥
العصمة في القول والرأى	١٠٦

- المسألة الثالثة: «الإمام المنتظر [» ١٠٧
- المسألة الرابعة: التقية ١٠٧
- اشارة ١٠٧
- «غايتهما» ١٠٨
- «دليلها في القرآن والسنة» ١٠٩
- «الظروف العصبية التي مزّت بها الشيعة» ١١٠
- اشارة ١١٠
- حدّ التقية ١١١
- «التقية المحرّمة» ١١١
- المسألة الخامسة: «البداء عند الشيعة الإمامية» ١١٢
- اشارة ١١٢
- البداء في مقام الثبوت ١١٤
- الأثر التربوي للإعتقاد في البداء ١١٦
- «البداء في مقام الإثبات» ١١٦
- «تلميحات للبداء في الذكر الحكيم:» ١١٧
- اشارة ١١٧
- تتمه البحث ١١٨
- الأمر الأول ١١٨
- الأمر الثاني: ١١٩
- المسألة السادسة: «الرجعة في الكتاب والسنة» ١١٩
- المسألة السابعة: زواج المتعة ١٢١
- المسألة الثامنة: متعة الحج ١٢٣
- المسألة التاسعة: مسح الأرجل في الوضوء ١٢٤
- المسألة العاشرة: السجود على الأرض ١٢٥

المسألة الحادية عشرة: عدالة الصحابة كلهم!	١٢٧
اشارة	١٢٧
الصحابة في القرآن الكريم	١٢٩
المسألة الثانية عشرة: في عالمية رسالة النبي ٩ و خاتمتها	١٣١
اشارة	١٣١
الخاتمية في الذكر الحكيم	١٣٢
الخاتمية في الأحاديث النبوية	١٣٤
الخاتمية في أحاديث العترة الطاهرة	١٣٥
أَسْئَلَة حول الخاتمية	١٣٥
المرونة التشريع الإسلامي:	١٤١
الشيعة والخاتمية:	١٤٤
١ - كتاب على (ع) وإملاء رسول الله (ص)	١٤٤
ما هو مصدر روايات أهل البيت؟	١٤٦
الفصل الخامس: «رؤية الله» في ضوء الكتاب	١٤٩
والسنة والعقل	١٤٩
«الرؤية بالأبصار لا بالقلب ولا بالرؤيا»	١٥٠
«الرؤية في كلمات الإمام على ٧»	١٥١
«الرؤية في منطق العلم والعقل»	١٥٢
«محاولة يائسة في تجويز الرؤية»	١٥٣
موقف الذكر الحكيم من أمر الرؤية:	١٥٤
دراسة أدلة النافين	١٥٦
شبهات المخالفين	١٥٩
الشبهة الاولى:	١٥٩
الشبهة الثانية:	١٦٠

١٦١	رؤية الله في الذكر الحكيم: «دراسة أدلة المثبتين»
١٦٢	«خمس آيات على مائدة التفسير»
١٦٧	رؤية الله في الأحاديث النبوية
١٦٨	الرؤية القلبية
١٦٩	تكفير «ابن باز» لمن لا يقول بالرؤية
١٦٩	تحليل هذه الفتيا:
١٧١	الخاتمة
١٧٣	تعريف مركز

تاریخ الشیعه و عقیدتهم

اشاره

سرشناسه : قائمی، آفرین خلاصه کننده.

عنوان قراردادی : اضواء علی عقائد الشیعه الامامیه و تاریخهم. برگزیده.

عنوان و نام پدید آور : تاریخ الشیعه و عقیدتهم : تلخیص من اضواء علی عقائد الشیعه الامامیه و تاریخهم/تالیف جعفر السبحانی ؛ الملخص آفرین القائمی.

مشخصات نشر : تهران: مشعر، ۱۳۸۷.

مشخصات ظاهری : ۱۷۱ ص.

شابک : ۱۲۰۰۰ ریال: ۹۷۸-۹۶۴-۵۴۰-۱۵۵-۷

وضعیت فهرست نویسی : فیپا

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه به صورت زیر نویس.

موضوع : شیعه امامیه -- عقاید.

موضوع : ائمه اثنا عشر -- سرگذشتنامه.

موضوع : شیعه -- تاریخ.

موضوع : کلام شیعه -- امامیه.

شناسه افزوده : سبحانی تبریزی، جعفر، ۱۳۰۸ -- -- اضواء علی عقائد الشیعه الامامیه و تاریخهم. برگزیده.

رده بندی کنگره : BP۲۱۱/۵/س۱۸ الف ۱۷ ۶۳۰ ۱۳۸۷

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۴۱۷۲

شماره کتابشناسی ملی : ۱۳۳۸۴۱۸

ص: ۱

المقدمه

اشاره

ص: ٥

سمات العقيدة الإسلامية

للعقيدة الإسلامية صفات متعدّدة؛ منها: سهولة فهمها وتعلّمها؛ لأنّها عقيدة شاملة لا تختص بالفلاسفة والمتكلّمين والمفكرين بالرغم من عمقها، إلّا أنّ ذلك لا يعنى سذاجتها وابتذالها وعدم خضوعها للبراهين العقلية، فللعقيدة براهينها الواضحة التى يمكن أن يقف عليها كلّ من درسها وإنّ من العوامل التى ساعدت على سرعة انتشار الإسلام فى مختلف الحضارات وتغلّغله بين الأوساط اتّصافه بسهولة العقيدة ويسر التّكليف ومن المعلوم أنّ الإذعان بشىء متوقّف على ثبوت مقدّمات بديهية أو نظرية منتهية إليه حتّى يستتبعها اليقين

ص: ٦

والإذعان واطمئنان القلب ورسوخ الفكرة في القلب والنفس. وهذا هو الذى يفرض علينا أن نستجيب للعقل، باعتباره العمود الفقرى للعقائد التى يبنى عليها صرح النبوة المحمدية(ص)، ولذلك نرى أن الكتاب العزيز يثبت هذا الأصل بدلالة العقل وإرشاده (١). وهذا يفرض علينا أن نفتح قلوبنا لنداء العقل ودعوته.

إن رفض العقل فى مجال البرهنة على العقيدة- من قبل بعض الفرق- صار سبباً لتغلغل الخرافة فى عقائد كثير من الطوائف الإسلامية، وعلى أثر ذلك دخلت أخبار التجسيم والتشبيه فى الصحاح والمسانيد عن طريق الأحبار والرهبان الذين تظاهروا بالإسلام وأبطنوا اليهودية والنصرانية وخدعوا عقول المسلمين، فحشروا عقائدهم الخرافية بين المحدثين والسذج من الناس الذين اغتروا بإسلامهم. وليس معنى ذلك أن المرجع الوحيد فى العقيدة هو العقل دون الشرع، بل إن اللبنة الأولى لصرح العقيدة الإسلامية يجب أن

١- انظر: الأنعام: ١٠٣ والأعراف: ١٤٣ وآل عمران: ١٩٠ والأنبياء: ٢٢ والمؤمنون: والإسراء: ٤٢ و ...

ص: ٧

تكون خاضعة للبرهان، وأما الأمور الفرعية فلا مانع أن تثبت بالنقل بشرطين:

الأول: أن لاتناقض حكم العقل،

و الثاني: ثبوت صدورها عن الشارع،

فعندما نثبت بحكم العقل نبوءة النبي الأكرم (ص) يكون كل ما جاء به النبي (ص) حجة في العقائد والأحكام، لكن بشرط الاطمئنان بصدوره عن النبي الأكرم (ص).

و لقد ركّز هذا الكتاب على بيان المشتركات التي تجمع بين الطائفتين (السنة والشيعة) على صعيد العقيدة والشريعة والفكر، إلى جانب بيان الفوارق التي ساقها إليهم الدليل والبرهان، هذا في الوقت الذي ندعن فيه لما قاله رائدنا السيد شرف الدين العاملي (رحمة الله) حينما خاطب علماء السنة بقوله: ما يجمعنا؛ أكثر مما يفترقنا.

و تبعه الشاعر المخلوق محمد حسن عبدالغنى المصرى، شاعر الأهرام لما قال:

إنّا لتجمعنا العقيدة أمةً وى — ضمنا دين الهدى أتباعاً

و يؤلف الاسلام بين قلوبنا مهما ذهبنا فى الهوى أشياء

ص: ٨

و في الختام نرجو من الله سبحانه أن يكون هذا الكتاب مساهمة متواضعة في سبيل تقريب الخطى بين المسلمين وتوثيق أواصر الأخوة وتعزيز التعاون المشترك بينهم كي يكونوا صفّاً واحداً أمام أعدائهم، إنه على ذلك لقدير وبالإجابة جدير.

الفصل الأول: الشيعة في موكب التاريخ

مبدأ التشيع وتاريخ نشأته

التشيع يظهر بأوضح صورة من خلال الالتفاف والمشايعة للوصي الذي اختاره رسول الله (ص) خليفة له بأمر الله تعالى، فإذا اعتبرنا أن التشيع يرتكز أساساً على استمرار القيادة بالوصي، فلانجد له تاريخاً سوى تاريخ الإسلام، والنصوص الواردة عن رسول الله (ص) تدلّ وبوضوح على أن الإستجابة اللاحقة استمرار حقيقى لما سبقها فى عهد رسول الله (ص)، وإذا كان كذلك فإنّ جميع من استجابوا لرسول الله (ص) وانقادوا له انقياداً حقيقياً يعدّون بلاشك روّاد التشيع الأوائل وحاملى بذوره؛ فالشيعة هم

ص: ١٠

المسلمون من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان في الأجيال اللاحقة، من الذين بقوا على ما كانوا عليه في عصر الرسول في أمر القيادة، ولم يغيروه ولم يتعدوا عنه إلى غيره ولم يأخذوا بأرائهم الخاصّة في مقابل النصوص، وصاروا بذلك المصدق الأبرز لقوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقَدِّمُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَهِيدٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ عَظِيمٌ) (١)، ففزعوا في الأصول والفروع إلى علي (ع) وعترته الطاهرة (عليهم السلام)، وانحازوا عن الطائفة الأخرى من الذين لم يتعيّدوا بنصوص الخلافة والولاية وزعامه العترة، حيث تركوا النصوص وأخذوا بأرائهم.

أخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: كنّا عند النبي صلّى الله عليه وآله [وسلم فأقبل علي] (ع) [فقال النبي صلّى الله عليه وآله] [و سلم

«و الذي نفسى بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»

ونزلت (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) (٢) فكان أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله [و سلم إذا أقبل علي] (ع) [قالوا: جاء خير البرية. (٣)]

١- حجرات: ١.

٢- البيّنة: ٧.

٣- الدرّ المنثور للسيوطي: ٥٨٩/٦. آية ٧: بيّنة ومثلهما عن عائشة و ...

ص: ١١

و روى ابن حجر في صواعقه عن أم سلمة: كانت ليلتي، وكان النبي عندي فأتته فاطمة فتبعها علي - رضى الله عنهما - فقال النبي: يا علي أنت وأصحابك في الجنة، أنت وشيعتك في الجنة (١).

و روى أحمد في المناقب: أنه قال لعلي: أما ترضى أنك معي في الجنة والحسن والحسين وذريتنا خلف ظهورنا وأزواجنا خلف ذريتنا وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا. [ومثله] روى الطبراني (٢).

و روى ابن حجر: أنه مرّ على علي جمع.... فقال (ع): شيعتنا هم العارفون بالله العاملون بأمر الله (٣).
وهذه النصوص المتظافرة الغنية عن ملاحظة أسنادها تعرب عن كون علي (ع) متميزاً بين أصحاب النبي بأن له شيعة وأتباعاً ولهم مواصفات وصفات كانوا مشهورين بها في حياة النبي وبعدها.

فبعد هذه النصوص لا يصحّ للباحث أن يلتجأ إلى فروض ظنيّة أو وهمية في تحديد تكون الشيعة وظهورها.

١- الصواعق: ١٦١ ط قاهره. وأيضاً ١٥٤.

٢- الصواعق: ١٦١.

٣- المصدر: ١٥٤.

ص: ١٢

الشيعة في كلمات المؤرخين وأصحاب الفرق

قد غلب استعمال لفظ الشيعة بعد عصر الرسول (ص) تبعاً له فيمن يوالى علياً وأهل بيته ويعتقد بإمامته ووصايته، ويظهر ذلك من خلال كلمات المؤرخين وأصحاب المقالات والتي نشير إلى بعضها:

- روى المسعودي في حوادث وفاة النبي (ص): أن الإمام علياً أقام ومن معه من شيعته في منزله بعد أن تمت البيعة أبي بكر. (١) - وقال محمد بن أحمد بن خالد البرقي (ت/ ٢٧٤ هـ): إن أصحاب علي ينقسمون إلى الأصحاب، ثم الأصفياء، ثم الأولياء، ثم شرطة الخميس ... ومن الأصفياء سلمان الفارسي والمقداد وأبوذر وعمار وأبوليلي وشبير وأبوسنان وأبو عمر وأبوسعيد الخدري وأبو برزة وجابر بن عبد الله والبراء بن عازب وطرفة الأزري. (٢) - وقال النوبختي (ت ٣١٣ هـ. ق): إن أول فرق الشيعة وهم فرقة علي بن أبي طالب، المسمون شيعة علي في زمان النبي صلى الله عليه وآله [و سلم وبعده، معروفون بانقطاعهم إليه والقول بإمامته. (٣)

١- الوصية للمسعودي: ١٢١ ط نجف.

٢- الرجال للبرقي: ٣ (ط. تهران)، ولاحظ فهرست ابن النديم: ٢٦٣ ط. القاهرة وعبارته قريبة من عبارة البرقي.

٣- فرق الشيعة: ١٥.

ص: ١٣

هذا كله يعرب عن أن لفيفاً من الأئمة في حياة الرسول وبعده إلى عصر الخلفاء وما تلاهم كانوا مشهورين بالتشيع لعلی، وأن لفظه الشيعة مما نطق بها الرسول وتبعته الأمة في ذلك، وما زال التشيع ينمو وينتشر بين المسلمين في الأقطار المختلفة. وإذا كان العنصر المقوم لإطلاق عبارة الشيعة هو مشايعة علي (ع) بعد النبي الأكرم (ص) في الزعامة والوصاية أولاً، وفي الفعل والترك ثانياً فإنه من غير المنطقي محاولة افتراض علّة اجتماعية أو سياسية أو كلامية لتكون هذه الفرقة.

رواد التشيع في عصر النبي (ص)

وسنقتصر في حديثنا على إيراد جملة من أولئك الصحابة الذين اشتهروا بالتشيع ونسبوا له: عبدالله بن عباس، عبدالله بن جعفر، عون بن جعفر، محمد بن جعفر، من مشاهير بني هاشم (١) و أمّا غيرهم: سلمان الفارسي، المقداد بن الأسود الكندي، أبوذر الغفاري، عمار بن ياسر، حذيفة بن اليمان، خزيمة بن ثابت، أبوأيوب الأنصاري مضيف النبي (ص)، سعد بن عبادة، عدی بن حاتم، بلال بن رباح الحبشي، عثمان بن حنيف، حجر

١- في أصل الكتاب ٢١ نفرات.

ص: ١٤

ابن عدى، جابر بن عبدالله الأنصارى، محمد بن أبى بكر، زيد بن صوحان (١) و ...

الكتب المؤلفة حول رواد التشيع

- ١: صدر الدين السيد على المدنى الحسينى الشيرازى، توفى (١١٢٠ ق) «الدرجات الرفيعة فى طبقات الشيعة الإمامية». قام فى الباب الأول بترجمته ٢٣ صحابياً من بنى هاشم لم يفارقوا علياً قط، كما قام فى الباب الثانى بترجمته ٤٦ صحابياً.
- ٢: ذكر الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء فى كتابه «أصل الشيعة وأصولها» أسماء جماعة من الصحابة كانوا يشايعون علياً فى حله وترحاله.
- ٣: كما أن الإمام السيد عبدالحسين شرف الدين (١٢٩٠-١٣٧٧ ق) قام بجمع أسماء الشيعة فى الصحابة حسب حروف الهجاء، ثم ابتدا بأبى رافع القبطى مولى رسول الله (ص) وختمهم بيزيد بن حوثره الأنصارى. وأنه (رحمة الله) قد ذكر ما يربو على المأتين من أسمائهم.
- ٤: قام الخطيب المصقع الدكتور الشيخ أحمد الوائلى بذكر

١- إلى ٥٠ نفرات.

ص: ١٥

أسماء رواد التشيع في عصر الرسول في كتابه «هوية التشيع» فجاء بأسماء مائة وثلاثين من خلص أصحاب الإمام (ع) من الصحابة الكرام

(٥) «الشخصيات الإسلامية» للشيخ جعفر السبحاني، طبع منه جزءان. والكتاب باللغة الفارسية، ونقله إلى العربية الشيخ المحقق البار جعفر الهادي، وطبع ونشر. وأخيراً فإن من أراد أن يقف بشكل جلي على رواد التشيع في كتب الرجال لأهل السنة يرجع إلى أمثال:

١- الاستيعاب لابن عبد البر (ت ٤٥٦ هـ).

٢- أسد الغابة للجزري (ت ٦٠٦ هـ).

٣- الإصابة لابن حجر (ت ٨٥٢ هـ).

و غير ذلك من امتهات كتب الرجال المعروفة.

الشيعه في العصرين: الأموي والعباسي

الشيعه في العصر الأموي

بعد أن لبى الإمام علي (ع) دعوة ربّه في ليلة الحادي والعشرون من رمضان على يد أشقى الأولين وآخرين ببيع بالخلافه ولده الامام الحسن (ع)، وكان أوّل من بايعه قيس بن

ص: ١٦

سعد الأنصاري ثم تتابع الناس على بيعته، بيد أن الأمور لم تستقم للإمام الحسن (ع) لجملة من الأسباب المعروفة، أهمها تخاذل أهل العراق أولاً، وكون الشيوخ الذين بايعوا علياً والتفؤوا حوله كانوا من عبدة الغنائم والمناصب ولم يكن لهؤلاء نصيب في خلافة الحسن ثانياً، وإن عدداً غير قليل ممن بايع الحسن كانوا من المنافقين، يرأسلون معاوية بالسمع والطاعة ثالثاً، كما أن قسماً من جيشه كانوا من الخوارج أو أبنائهم رابعاً، إلى غير ذلك من الأسباب التي دفعت الإمام إلى قبول الصلح مع معاوية.

وقد قام معاوية بتتبع شيعة على وقتلهم، توالى المجازر تترى بعد معاوية إلى آخر عهد الدولة الأموية، فلم يكن للشيعة في تلك الأيام نصيب سوى القتل والنفي والحرمان حتى أن بقاء التشيع في هذه العصور المظلمة كان معجزة من معجزات الله سبحانه. وإليك بعض الوثائق من جرائم معاوية:

رسالة الإمام الحسين (ع) إلى معاوية:

«ألست قاتل حُجر وأصحابه العابدين؟ إلى أن قال أولست قاتل الحضرمي؟ ... لا تردن هذه الامة في فتنه، وإنني أعلم لها فتنه أعظم من إمارتك عليها ... واتق الله يا معاوية واعلم أن الله كتاباً لا يغير

ص: ١٧

صغيرة ولا- كبيرة إلا- أحصيتها، واعلم أن الله ليس بناس لك قتلک بالظنة وأخذك بالتهمة وإمارتك صبياً يشرب الشراب ويلعب بالكلاب، ما أراك إلا

قد أوبقت نفسك وأهلك دينك وأضعت الرعية. والسلام» (١)

رسالة الإمام محمد بن علي الباقر (ع) لأحد أصحابه، حيث قال: إن رسول الله (ص) قبض وقد أخبر أنا أولى الناس ... فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا، ولم يزل صاحب الأمر في صعود كئود حتى قُتل، فبيع الحسن (ع) ابنه وعوهد، ثم غدير به فوادع معاوية وحقق دمه ودماء أهل بيته ثم بايع الحسين (ع) من أهل العراق عشرون ألفاً ثم غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في أعناقهم وقتلوه. ثم لم نزل- أهل البيت (عليهم السلام) نستذلّ ونستضام ونُقصى ونُمتَهَن نُحرم ونُقْتل ونُخاف ولانأمن على دمائنا ودماء أوليائنا ورووا عنا ما لم نُقله ولم نفعله ليغضونا إلى الناس، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن (ع)، فقتلت شيعةنا بكلّ بلدة وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة، وكان من يذكر بحبنا والإنقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت

١- الإمامة والسياسة: ١/ ١٦٤، بحار الأنوار: ٤٤/ ٢١٤ ٢١٢.

ص: ١٨

داره، ثم لم يزل البلاء يشتدّ ويزداد إلى زمان عبيدالله بن زياد قاتل الحسين (ع) ثم جاء الحجاج فقتلهم كلّ قتلته ... (١)»
كان زياد جمع الناس بالكوفة بباب قصره يحرضهم على لعن على أو البراءة منه، فملاً منهم المسجد والرحبة، فمن أبى ذلك عرضه
على السيف. (٢)

بيان معاوية إلى عمّاله:

روى أبو الحسن على بن محمد أبي السيف المدائني في كتاب «الأحداث»، قال: «كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمّاله بعد عام الجماعة!!» «أن برأت الذمة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته» فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون علياً ويرأون منه ويقعون فيه وفي أهل بيته، فلم يكن بلد أشدّ بلاءً من العراق ولا سيما الكوفة، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة حتّى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى أيدي الديّانين الذين لا يستحلّون الكذب والبهتان، فقبلوها ورووها، وهم يظنون أنّها حقّ، ولو علموا أنّها باطلة لما رووها ولا تدّينوا بها.

١- شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: ١١ / ٤٤ - ٤٣.

٢- مروج الذهب: ٣ / ٢٦.

ص: ۱۹

و قال ابن أبي الحديد: فلم يزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن علي (عليهما السلام)، فازداد البلاء والفتنة، فلم يبق أحد من هذا القبيل [الشيعة] إلّا وهو خائف على دمه أو طريد في الأرض. ثم تفاقم الأمر بعد قتل الحسين (ع) وولّى عبد الملك بن مروان، فاشتدّ على الشيعة وولّى عليهم الحجاج بن يوسف، فتقرّب إليه أهل النسك والصلاح والذين يبغض على (ع) وموالاه أعدائه (۱)!

ضحايا الصدر الأموي:

- ۱- حجر بن عدى الكندى سنه ۵۳ هـ. ومعه تسعة نفر أصحابه من أهل الكوفة وأربعة من غيرها، قتله معاوية مع أصحابه في مرج عذراء بصورة بشعة يندى لها الجبين.
- ۲- عمرو بن الحمق: ذلك الصحابي العظيم الذي وصفه الإمام الحسين (ع) سيد الشهداء بأنّه: «أبلى وجهه العبادة»؛ قتله معاوية بعد ما أعطاه الأمان.
- ۳- مالك الأشتر: ملك العرب وأحد أشرف رجالاتها وأبطالها، كان شهماً مطاعاً وكان قائد القوات العلوية، قتله معاوية بالسم في مسيره إلى مصر بيد أحد عمّاله.

۱- شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد: ۴۶ / ۱۱.

ص: ٢٠

٤- رشيد الهجري: كان من تلاميذ الإمام وخواصه عرض عليه زياد البراءة واللعن، فأبى، ففقطع يديه ورجليه ولسانه وصَلَبَهُ خَنْقاً في عنقه.

٥- جويرية بن مسهر العبدى: أخذ زياد وقطع يديه ورجليه وَصَلَبَهُ على جذع نخلة.

٦- قنبر مولى أمير المؤمنين (ع): ... أن الحجاج أمر به، فذبح كما تذبح الشاة.

٧- كميل بن زياد: طلبه الحجاج فهرب منه، فحرم قومه عطاءهم، فاستسلم للحجاج، فلَمَّا رآه قال: إضربوا عنقه.

٨- سعيد بن جبير: تابعى معروف بالعفة والزهد والعبادة، وكان يصلّى في المحراب خلف الإمام زين العابدين (ع)، فلَمَّا رآه الحجاج أخذ ثم ضربت عنقه.

الشَّيْعَةُ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِي

١- كان أوّل من تولّى منهم أبو العباس السفّاح: بويح سنة ١٣٢ هـ. ومات سنة ١٣٦ هـ. وهو وإن لم يتعرّض للعلويين لكنّه تنكّر لهم ولشيعتهم.

٢- ثم جاء بعده أبو جعفر المنصور (١٥٨-١٣٦ هـ): أنّه أسرف كثيراً في الظلم القوّة والإجرام بشكل ملفت للأنظار.

ص: ٢١

وليت شعري أين كان المؤرخون وأصحاب الكلمات الصادقة المنصفة من هذه المواقف المخزية التي تقشعر لها الأبدان وهم يتحدثون عن هذا الرجل الذي ما آلوا يشيدون بذكره ويمجدون بأعماله، وهما تأمل القراء في سيرة هذا الرجل ليدركوا ذلك الخطأ الكبير. أجل، لقد أسرف هذا الرجل في القتل كثيراً، وكان للعلويين النصيب الأكبر وحصّة الأسد من هذا الظلم الكبير.

٣- ثم ولي بعده المهدي ولد المنصور وبقي في الحكم من سنة ١٥٨ هـ. إلى سنة ١٦٩ هـ،. ويكفي في الإشارة إلى ظلمه للعلويين أنه أخذ على بن العباس بن الحسن بن علي بن أبي طالب فسجنه، فدس إليه السم ففسخ لحمه وتباينت أعضاؤه.

٤- ولما هلك المهدي بويج ولده الهادي وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر.

٥- ثم تولى بعده الرشيد سنة ١٧٠ هـ. ومات ١٩٣ هـ. الذي كان له سجل أسود في تعامله مع الشيعة، تبلورت أوضح صورته فيما لاقاه منه الإمام موسى بن جعفر الكاظم (ع).

٦- ثم جاء بعده ابنه الأمين (١٩٧-١٩٣ هـ). فتولى الحكم أربع سنين وأشهرًا. يقول أبو الفرج: كانت سيرة الأمين في أمر آل أبي طالب خلاف من تقدم لتشاغله بما كان فيه من اللهو ثم

ص: ٢٢

الحرب بينه وبين المأمون حتى قتل، فلم يحدث على أحدٍ منهم في أيامه حدث.

٧- وتولى الحكم بعده المأمون (٢١٠-١٩٧ هـ) وكان من أقوى الحكام العباسيين بعد أبيه الرشيد.

٨- مات المأمون سنة ٢١٠ هـ. وجاء إلى الحكم ابنه المعتصم.

٩- ثم تولى الحكم بعد الواثق الذي قام بسجن الإمام محمد ابن علي الجواد (ع) ودس له السم بمكيده.

١٠- وولى الحكم بعد الواثق، المتوكل: كان المتوكل شديدة الوطأة على آل أبي طالب غليظاً في جماعتهم، شديد الغيظ والحقدهم

عليهم وسوء الظن والتهمة لهم، وكان من ذلك أن كرب (١) قبر الحسين (ع) وعفى آثاره، ووضع على سائر الطرق مسالح له لا يجدون

أحداً زاره إلّا أتوه به وقتله أو أنهكه عقوبة. واستعمل على المدينة ومكة عمر بن الفرّج، فمنع آل أبي طالب من التعرّض لمسألة الناس

ومنع الناس من البرّ بهم حتى كان القميص يكون بين جماعة من العلويّات يصلّين فيه واحدة بعد واحدة.

١- الكرب: إثارة الأرض للزرع.

ص: ٢٣

١١- وولى بعده المنتصر ابنه، وظهر منه الميل إلى أهل البيت وخالف أباه، فلم يجر منه على أحد منهم قتل أو حبس أو مكروه فيما بلغنا، وأول ما أحدثه لما ولى الخلافة عزل صالح بن علي عن المدينة، وبعث علي بن الحسين مكانه.

١٢- وقام بعده المستعين بالأمر، فنقض كل ما غزله المنتصر من البر والإحسان، ومن جرائمه أنه قتل يحيى بن عمر بن الحسين (ع)، وأدخل الأسارى من أصحاب يحيى إلى بغداد، وكانوا يساقون وهم حفاة سواقاً عنيفاً، فمن تأخر ضربت عنقه.

وقد وثقت هذه الجرائم في كتب التاريخ والأدب، من ذلك القصائد التالية:

١- تائية دعبل الخزاعي الشهيد عام ٢٤٦ هـ.

٢- ميمية الأمير أبي فراس الحمداني ٣٢٠-٣٥٧ هـ.

٣- جيمية ابن الرومي التي رثى بها يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد.

نعم قد اقترن تاريخ الشيعة بأنواع الظلم والنكال والقتل والتشريد بحيث لم ير الأمويون ولا العباسيون ولا الملوك الغزانوة ولا السلاجقة ولا من أتى بعدهم أية حرمة لنفوسهم وأعراضهم وعلومهم ومكتباتهم.

ص: ٢٤

هذا هو طغرل بيك أول ملك من ملوك السلاجقة ورد بغداد سنة ٤٤٧ هـ. وشنّ على الشيعة حملة شعواء، وأمر بإحراق مكتبة الشيعة التي أنشأها أبو نصر سابور بن أردشير وزير بهاء الدولة البويهية في محله بين السورين في الكرخ سنة ٣٨١ على مثال بيت الحكمة الذي بناه هارون الرشيد، وكانت من الأهمية العلمية بمكان حيث جمع فيما هذا الوزير ماتفرق من كتب فارس والعراق واستكتب تآليف أهل الهند والصين والروم، كما قاله محمد كرد علي، ونافت الكتب على عشرة آلاف من جلائل الآثار ومهام الأسفار، وأكثرها نسخ الأصل بخطوط المؤلفين. وكان من جملتها مصاحف بخط ابن مقله على ما ذكره ابن أثير.

و توسّعت الفتنة حتّى اتّهمت إلى شيخ الطائفة وأصحابه فأحرقوا كتبه وكرسیه الذي كان يجلس عليه للكلام، وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره.

و أخيراً فلعلّ القارئ الكريم إذا تأمل بتدبر فإنّه سيجد بوضوح أنّه قد تضافرت قوى الكفر والفسق على إهلاك الشيعة وقطع جذورهم، ومع ذلك قد كانت لهم دول ودويلات ومعاهد وكلّيات وبلدان وحضارات وأعلام ومفاخر وعباقره وفلاسفة

ص: ٢٥

وفقهاء ومحدثون ووزراء وسياسيون، وهم يؤلفون اليوم خمس المسلمين أو رُبْعهم، وقد قال سبحانه: (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مَا تَتِينَ) (١)

فرضيات وهمية لنشأة التشيع

إشارة

أنه لافصل هنا بين النشأتين: نشأة الإسلام ونشأة التشيع وأنهما وجهان لعملة واحدة، إلا أن هناك جماعة من المؤرخين وكتاب المقالات ممن قادهم الوهم وسوء الفهم إلى اعتبار التشيع أمراً حادثاً وطارئاً على المجتمع الإسلامي، فأخذوا يفتشون عن مبدأه ومصدره، وأشد تلك الظنون عدوانية فيه ما تلوكة أشد اق بعض المتقدمين والمتأخرين هو كونه وليد «عبدالله بن سبأ» ذلك الرجل اليهودي، الذي بزعمهم طاف الشرق والغرب وأفسد الأمور على الخلفاء والمسلمين، وألب الصحابة والتابعين على عثمان، فقتل في عقر داره، ثم دعا إلى علي (ع) بالإمامة والوصاية وإلى النبي بالرجعة وكوّن مذهباً باسم الشيعة! و سوف نأتي على ذكر كل هذه الفرضية وغيرها من الفرضيات واحدة بعد الأخرى مع رعاية التسلسل الزمني:

الفرضية الأولى: الشيعة ويوم السقيفة!

قال الطبري: «اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة لبايعوا سعد بن عبادَةَ، فبلغ ذلك أبا بكر، فأتاهم ومعه عمر وأبو عبيدة بن الجراح، فقال: ما هذا؟! فقالوا: مَنّا أمير ومنكم أمير! فقال أبو بكر: مَنّا الامراء ومنكم الوزراء- إلى أن قال- فبايعه عمر وبايعه الناس، فقالت الأنصار- أو بعض الأنصار- لانباع إلّا علياً.» وقال يعقوب في تاريخه: ومالوا مع علي بن أبي طالب، منهم العباس بن عبدالمطلب والفضل بن عباس والزبير بن العوام وخالد بن سعيد بن العاص والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسي وأبوذر الغفاري وعَمّار بن ياسر والبراء بن عازب وأبيّ بن كعب. وروى الزبير بن بكار في الموفقيات: إنّ عامّة المهاجرين وجلّ الأنصار كانوا لا يشكون أنّ علياً هو صاحب الأمر. من هنا اعتقد البعض أنّ مبدأ التشيع ونشأته كان في تلك اللحظات الحرجة في تاريخ الإسلام، متناسين أنّ ما اعتمدوه في بناء تصوراتهم ما ينقضها ويثبت بطلانها. ومِمّا يؤكد ذلك ويقوى أركانه ما نقلته جميع مصادر الحديث المختلفة من نداءات رسول الله (ص) وتوصياته بحق علي وعترته وشيعته في أكثر من مناسبة ومكان و...

ص: ٢٧

الفرضية الثانية: التشيع صنيع عبدالله بن سبأ

إشارة

لنقرأ ما كتبه الطبري حول هذا الوهم المصطنع؛ قال: «إنَّ يهودياً باسم عبدالله بن سبأ المكنى بابن السوداء في صنعاء أظهر الإسلام في عصر عثمان واندس بين المسلمين مبشراً بأنَّ للنبي الأكرم (ص) رجعه كما أنَّ لعيسى بن مريم رجعه، وأنَّ علياً خاتم الأوصياء كما أنَّ محمداً (ص) خاتم الأنبياء، وأنَّ عثمان غاصب حقَّ هذا الوصي وظالمه فيجب مناهضته لإرجاع الحقِّ إلى أهله، فمال إليه وتبعه على ذلك جماعات من المسلمين، فيهم الصحابي الكبير والتابعي الصالح. فجعلوا يكتبون إلى الأمصار بكتب يضعونها في عيوب ولاتهم، فنتج عن ذلك قدومهم إلى المدينة وحصرهم عثمان في داره حتى قتل فيما كلَّ ذلك كان بقيادة السبائيين ومباشرتهم» (١) هذا هو الذي ذكره الطبري، وقد أخذه من جاء بعده من المؤرخين وكتاب المقالات حقيقة مسلّمة، فصارت الشيعة وليدة السبائية في زعم هؤلاء عبر القرون والأجيال، ومن الذين وقعوا في هذا الخطأ الفاحش دون فحص وتأمل في حقائق الأمور:

ص: ٢٨

- ١- ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) ...
- ٢- ابن كثير الشامي (ت ٧٧٤ هـ) في «البدایة والنهایة»
- ٣- ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) في تاريخه «المبتدأ والخبر».
- ٤- محمد رشيد رضا مؤسس مجلة المنار (ت ١٣٥٤ هـ) ذكره في كتابه «السنة والشيعة».
- ٥- أحمد أمين (ت ١٣٧٢ هـ) في كتابه «فجر الإسلام» عام انتشاره (١٩٥٢ م).
- وقد ردّ عليه أعلام العصر بأنواع الردود، فألف الشيخ المصلح كاشف الغطاء «أصل الشيعة وأصولها» ردّاً عليه كما ردّ عليه العلامة الشيخ عبدالله السبتي بكتاب أسماه «تحت راية الحق».
- ٦- فريد وجدي مؤلف دائرة المعارف (ت ١٣٧٠ هـ).
- ٧- حسن إبراهيم حسن، وذكره في كتابه «تاريخ الإسلام السياسي».
- و أما المستشرقون المتطفلون على موائد المسلمين فحدّث عنهم ولا حرج، فمن أراد الوقوف على كلماتهم فليرجع إلى ما ألفه الباحث الكبير السيد مرتضى العسكري في ذلك المجال (١).

١- عبدالله بن سبأ: ١/ ٤٦ - ٥٠.

نظر الممققين في الموضوع:

١- إنَّ ما جاء في تاريخ الطبري من القصَّة على وجه لا يصحَّ نسبته إلا إلى عفاريت الأساطير ومردة الجنِّ؛ إذ كيف يصح الإنسان أن يصدَّق أنَّ يهودياً جاء من صنعاء وأسلم في عصر عثمان واستطاع أن يغري كبار الصَّحابة والتابعين ويخدعهم ويطوف في البلاد ناشراً دعواه، بل واستطاع أن يكوّن خلايا ضدَّ عثمان ويستقدمهم على المدينة ويؤلِّبهم على الخلافة الإسلامية فيها جموا داره ويقتلوه بمرأى ومسمع من الصحابة العدول ومن تبعهم بإحسان؟! هذا شيء لا يحتمله العقل وإنَّ وطَّن على قبول العجائب والغرائب. بل إنَّ هذه القصَّة تمسُّ كرامة المسلمين والصحابة والتابعين وتصوِّرهم أمَّة ساذجة يفترون بفكر يهودي وفيهم السادة والقادة والعلماء والمفكِّرون!

٢- ... يقول العلَّامة الأميني: «لو كان ابن سبأ بلغ هذا المبلغ من إلحاح الفتن وشقَّ عصا المسلمين وقد علم به وبعثه أمراء الأمَّة وساستها في البلاد وانتهى أمره إلى خليفه الوقت فلماذا لم يقع عليه الطلب ولم يبغله القبض عليه، والأخذ بتلكم الجنايات الخطيرة والتأديب بالضرب والإهانة والزَّجَّ إلى أعماق

ص: ٣٠

السجون؟! ولا آل أمره إلى الإعدام المريح للأمة من شره وفساده كما وقع ذلك كله على الصلحاء الأبرار الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر؟!...» (١) ٣- إن رواية الطبري عن أشخاص لا يصح الاحتجاج بهم:

الف: السري: إن «السري» الذي يروي عنه الطبري إنما هو أحد رجلين:

١- السري بن إسماعيل الهمداني الذي كذبه يحيى بن سعيد وضعفه غير واحد من الحفاظ.

٢- السري بن عاصم بن سهل الهمداني نزيل بغداد، المتوفى عام ٢٥٨ هـ.. كذبه ابن خراش ووهاه بن عدي وقال يسرق الحديث و. فالاسم مشترك بين كذابين لايهمنا تعيين أحدهما.

وا احتمال كونه السري بن يحيى الثقة غير صحيح؛ لأنه توفي عام ١٦٧ هـ. مع أن الطبري مواليد عام ٢٣٤ هـ، فلا مناص أن يكون السري أحد الرجلين الكذابين.

ب: شعيب: والمراد منه شعيب بن إبراهيم الكوفي المجهول: قال ابن عدي ليس بمعروف.

ج: سيف بن عمر: قال ابن حبان: قالوا: إنه كان يضع

ص: ٣١

الحديث واتَّهم بالزندقة. وقال ابن معين: ضعيف الحديث فليس خير منه. وقال السيوطي: وضاع. فإذا كان هذا حال السِّند فكيف نعتمده في تحليل نشوء طائفة كبيرة من طوائف المسلمين تُولفُ خُمسهم أو ربعهم، فالاعتماد خداع وضلال لا يرتضيه العقل.

عبدالله بن سبأ اسطورة تاريخية:

إنَّ القرائن والشواهد والاختلاف الموجود في حق الرجل ومولده وزمن إسلامه ومحتوى دعوته يشرف المحقق على القول بأنَّ عبدالله بن سبأ أقرب ما يكون إلى الاسطورة منه إلى الواقع، وإنَّ خصوم الشيعة أيام الأمويين والعباسيين قد بالغوا في أمر عبدالله بن سبأ هذا ليشكِّكوا في بعض ما نسب من الأحداث إلى عثمان وولَّاته، من ناحية، وليشنعوا على علي (ع) وشيعته من ناحية أخرى. إنَّ الموارد التي يستنتج منها كون ابن سبأ شخصية وهمية خلقها خصوم الشيعة، ترجع إلى الأمور التالية:

١- إنَّ المؤرِّخين الثقات لم يشيروا في مؤلِّفاتهم إلى قصَّة عبدالله بن سبأ كابن سعد في طبقاته والبلاذري في فتوحاته.

ص: ٣٢

- ٢- إنَّ المصدر الوحيد عنه هو سيف بن عمر، وهو رجل معلوم الكذب ومقطوع بآثمه وضاع.
- ٣- إنَّ الأمور التي نسبت إلى عبدالله بن سبأ تستلزم معجزات خارقة لا تتأتى لبشر، كما تستلزم أن يكون المسلمون الذين خدعهم في منتهى البلاهة والسخف!
- ٤- عدم وجود تفسير مقنع لسكوت عثمان وعَماله عنه مع ضربهم لغيره من المعارضين كمحمد بن أبي حذيفة ومحمد بن أبي بكر وعَمار بن ياسر، وأبي ذر الغفاري.
- ٥- قضيّة إحراق علي (ع) إياه وتعيين السنّة التي عرض فيها ابن سبأ للإحراق تخلو منه كتب التاريخ الصحيحة، ولا يوجد لها في هذه الكتب أثر.
- ٦- عدم وجود أثر لابن سبأ وجماعته في وقعة صفين وفي حرب النهروان. (١) ويزيد الحقّ وضوحاً أنّنا إذا راجعنا كتب الشيعة نرى أنّ أئمتهم وعلمائهم يتبرّأون منه أشدّ التبرؤ.
- قال الكشي وهو من علماء القرن الرابع: «عبدالله بن سبأ كان يدّعي النبوة وأنّ علياً هو الله! فاستتابه ثلاثة أيام فلم

١- الفتنة الكبرى، دكتور طه حسين: ١٣٤.

ص: ٣٣

يرجع فأحرقه في النار في جملة سبعين رجلاً» (١) و مثله الشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ). والعلامة الحلي (٦٤٨ - ٧٢٦ هـ) وابن داود (٦٤٧ - ٧٠٧ هـ) والشيخ حسن بن زين الدين (٦٤٨ - ١٠١١ هـ) وأمّا ما نقله عنه سيف بن عمر فليس منه أثر في تلك الروايات. وأين هذا الأفاك وزمرته من أولئك الذين لا يخالفون الله ورسوله وأولى الأمر ولا يتخلفون عن أوامرهم قيد أنملة كالمقداد وسلمان.

الفرضية الثالثة: التشيع فارسي المنشأ

إشارة

و هناك فرضية ثالثة اخترعها المستشرقون لتكون مذهب الشيعة في المجتمع الإسلامي تقول ب- أن للمذهب الشيعي نزعة فارسية؛ لأنّ العرب كانت تدين بالحرية والفرس تدين بالملك والوراثة، ولا يعرفون معنى الانتخاب ولما انتقل النبي إلى دارالبقاء ولم يترك ولداً، قالوا: على أولى بالخلافة من بعده. وهذا التصور مردود لجملة واسعة من البديهيّات، منها: أولاً: أن التشيع حسبما عرفت ظهر في عصر النبي الأكرم (ص)، ورواد التشيع في عصر الرسول والوصي كانوا كلّهم

ص: ٣٤

عرباً، ولم يكن بينهم أى فارسى سوى سلمان المحمدى (ص). ثم إنّ الفرس لم يكونوا الوحيدين ممّن اعتنقوا هذا المذهب دون غيرهم، بل اعتنقه الأتراك والهنود وغيرهم من العرب.

شهادة المستشرقين على أن التشيع عربى المبدأ

- ١- قال الدكتور أحمد أمين: الذى أرى كما يدلّنا التاريخ أن التشيع لعلّى (ع) بدأ قبل دخول الفرس إلى الإسلام.
- ٢- وقال المستشرق فلهوزن: كان جميع سكان العراق فى عهد معاوية- خصوصاً أهل الكوفة- شيعة، ولم يقتصر هذا على الأفراد، بل شمل القبائل ورؤساء العرب.
- ٣- وقال المستشرق جولد تسيهر: هذا الوهم الشائع مبنى على سوء فهم الحوادث التاريخية، فالحركة العلوية نشأت فى أرض عربية بحتة.
- ٤- وأما المستشرق آدم متر فإنّه قال: قد كانت جزيرة العرب شيعة كلّها عدا المدن الكبرى مثل مكة وتهامة وصنعاء، وكان للشيعة غلبة فى بعض المدن. مثل عمان، وهجروصعدة، أمّا إيران فكانت كلّها سنّة ما عدا قم، وكان أهل إصفهان يغالون فى معاوية حتى اعتقد بعض أهلها أنّه نبي مرسل.

ص: ٣٥

- ٥- يقول الشيخ أبوزهرة: أنّ الفرس تشيعوا على أيدي العرب، وليس التشيع مخلوقاً لهم، ويضيف: وأمّا فارس وخراسان وما راءهما من بلدان الإسلام فقد هاجر إليها كثيرون من علماء الإسلام الذين كانوا يتشيعون فراراً بعقيدتهم من الأمويين أولاً، ثمّ العباسيين ثانياً، وأنّ التشيع كان منتشراً في هذا البلاد انتشاراً عظيماً قبل سقوط الدولة الأموية بفرار أتباع زيد ومن قبله إليها.
- ٦- وقال السيد الأمين: أنّ الفرس الذين دخلوا الإسلام لم يكونوا شيعة في أوّل الأمر إلا القليل، وجلّ علماء السنّة وأجلّائهم من الفرس كالبخارى والترمذى والنسائى وابن ماجه والحاكم النيسابورى والبيهقى وهكذا غيرهم ممّن أتوا في الطبقة التالية.

الفرضية الرابعة: التشيع فارسي المنحى

والفرق بين هذه الفرضية وسابقتها أنّ هذه النظرية وإن كانت تعترف بأنّ التشيع عربى المولد والمنشأ ولكنها تدعى أنّه اصطبغ بصبغة فارسية بعد دخول الفرس فى الإسلام، وهذا هو الذى اختاره الدكتور أحمد أمين كما عرفت ولفيف من المستشرقين ك-

ص: ٣٦

«فلهوزن» فيما ذهبوا إليه في تفسير نشأة التشيع.

و هذا ما يصّرّح به الدكتور أحمد أمين في قوله: أنّ الفكر الفارسي استولى على التشيع، والمقصود من الاستيلاء هو جعل الخلافة أمراً وراثياً كما كان الأمر كذلك بين الفرس في عهد ملوك بني ساسان وغيرهم.

إلّا أنّه يلاحظ عليه: أنّ كون الحكم والملك أمراً وراثياً لم يكن من خصائص الفرس، بل إنّ النظام السائد بين ملوك الحيرة وغان وحمير في العراق والشام واليمن كان هو الوراثة.

كما أنّ المناصب المعروفة لدى قريش من السقاية والرفادة وعمارة المسجد الحرام والسدانة كانت أموراً وراثية حتّى أنّ النبي الأكرم (ص) لم يغيّرها، بل إنّ أمضاها كما في قضية رفعه لمفاتيح البيت إلى بني شيبه وإقرارهم على منصبهم هذا إلى الأبد!، فإلصاق مسألة الوراثة بالفرس دون غيرهم أمرٌ عجيب لا يقوّه العقلاء مع كونها آنذاك فكرة عامة عالمية؟!!

إنّ النبوة والوصاية من الأمور الوارثية في الشرائع السماوية، لا- بمعنى أنّ الوراثة هي الملا-ك المعيّن، بل بمعنى أنّه سبحانه جعل نور النبوة والإمامة في بيوتات خاصّة، فكان يتوارث نبي نبياً ووصى وصياً يقول سبحانه: «ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم

ص: ٣٧

وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب» (١).

ثم إن من زعم أن التشيع من صنع الفرس مبدأً وصبغةً فهو جاهل بتاريخ الفرس؛ وذلك لأنّ التسنن كان هو السائد فيهم إلى أوائل القرن العاشر! حتى غلب عليهم التشيع في عصر الصفويين ٩٠٥ هـ، نعم كانت مدن رى وقم وكاشان معقل التشيع، ومع ذلك يقول أبوزهرة: إن أكثر أهل فارس إلى الآن من الشيعة، وإن الشيعة الأولين كانوا من الفرس؟! ...

الفرضية الخامسة: الشيعة ويوم الجمل

ذكر ابن النديم في الفهرست: أن علياً قصد طلحة والزبير ليقاتلهما حتى يفيئا إلى أمر الله جلّ اسمه، وتسمى من اتبعه على ذلك الشيعة «...»

وعلى ذلك جرى المستشرق «فلهوزن» حيث يقول: بمقتل عثمان انقسم الإسلام إلى فئتين: حزب علي (ع) وحزب معاوية، و«الحزب» يطلق عليه في العربية اسم «الشيعة»! فكانت شيعة علي (ع) في مقابل شيعة معاوية، لكن لما تولّى معاوية الملك في دولة الإسلام أصبح استعمال لفظه «شيعة»

ص: ٣٨

مقصوداً بها أتباع علي(ع)؟!

لكن ما تلونا عليك من النصوص الدالة على وجود التشيع في عصر الرسول(ص) وظهوره بشكل جلي بعد وفاته، وهذا كان قبل أن تشب نار الحرب في البصرة، وهذا دليل على وهن هذا الرأي.

الفرضية السادسة: الشيعة ويوم صفين

زعم بعض المستشرقين (١) أن الشيعة تكونت يوم افترق جيش علي(ع) في مسألة التحكيم إلى فرقتين. لكن الثابت هو أن ليس جميع من كان في جيشه من شيعته بالمعنى المفروض والواقعي للتشيع، بل أغلب من انخرط في ذلك الجيش كانوا تابعين له؛ لأنه خليفه لهم وقد بايعوه على ذلك.

الفرضية السابعة: الشيعة والبويهيون

تقلد آل بويه مقاليد الحكم والسلطة من عام ٣٢٠ هـ. إلى ٤٤٧ هـ.، فكانت لهم السلطة في العراق وبعض بلاد إيران كفارس وكرمان وبلاد الجبل وهمدان وإصفهان والرّي، وقد اقصوا عن الحكم في الأخير بهجوم الغزاة عليهم عام ٤٢٠ هـ.

١- تاريخ الإمامية: للدكتور عبدالله فياض: ٣٧.

ص: ٣٩

راج مذهب الشيعة في عصرهم واستشق رجالاته نسيم الحرية بعد أن تحمّلوا الظلم والاضطهاد طيلة حكم العباسيين خصوصاً في عهد المتوكل ومن بعده، غير أنّ تكون الشيعة في أيامهم شيء وكونهم مروجين ومعارضين له شيء آخر، ومن السذاجة بمكان الخلط بين الحالين وعدم التمييز بينهما.

الفرضية الثامنة: الشيعة والصفيون

إنّ الصفيين هم اسرة الشيخ صفى الدين العارف المشهور فى أردبيل المتوفى عام ٧٣٥هـ. فعند ما انقرضت دولة المغول قام أحد أحفاد صفى الدين الشاه إسماعيل عام ٩٠٥هـ. بتسلم مقاليد الحكم والسيطرة على بلاد فارس. واستمرّ فى الحكم إلى عام ٩٣٠هـ. ثم ورثه أولاده إلى أن أقصوا عن الحكم بسيطرة الأفاغنة على إيران عام ١١٣٥هـ. ومن وقف على أحوالهم ووقف على تاريخ الشيعة يقف على أنّ عصرهم كان عصر ازدهار التشيع، وهو أمر لا مرء فيه، وليس هو عصر تكون التشيع، فهذا ما لا يقنع به إلا السذج والجهلاء.

فلا مريّة من القول بخطأ كل الافتراضات السابقة وعدم

ص: ٤٠

حجّيتها في محاولة تثبيت كون التشيع ظاهرة طارئة على الإسلام، وإنّما هو نفس الإسلام في إطار ثبوت القيادة لعلّي (ع) بعد رحلته النبي (ص) بتنصيبه.

وقد شارك الشيعة جميع المسلمين في بناء الحضارة الإسلامية بجوانبها المختلفة، يتفقون مع جميع الفرق في أكثر الأصول والفروع وإن اختلفوا معهم في بعضها كاختلاف بعض الفرق مع بعضها الآخر. وسيوافيك تفصيل عقائدهم في مبحث خاص بإذن الله.

ص: ٤١

الفصل الثاني: الأئمة الإثنا عشر

إشارة

تعرف الشيعة الإمامية بالفرقة الإثني عشرية، ومبعث هذه التسمية هو اعتقادهم بإثني عشر إماماً من بنى هاشم نصّ عليهم رسول الله (ص) كما هو معلوم للجميع، ثم نصّ كلّ إمام على الإمام الذي بعده، بشكل يخلو من الشك والإبهام. لقد تضافر عن رسول الله (ص) أنه يملك هذه الأئمة اثنا عشر خليفة كعدد نقيباء بنى إسرائيل، وإنّ هذه الروايات مع ما فيها من المواصفات لا تنطبق إلّا على أئمة الشيعة والعترة الطاهرة، فيلزم علينا معرفتهم، كيف وهم أحد الثقلين اللّذين تركهما الرسول (ص) قدوة للأمة ونوراً على جبين الدهر. ومن وقف على حياتهم العلمية والاجتماعية والسياسية يقف

ص: ٤٢

على أنهم هم المثل الأعلى في الأخلاق والقيّة الساقمة في العلم والعمل والتقوى والإحاطة بالقرآن والسنة، وبهم حفظ الله تعالى دينه وأعزّ رسالته.

الإمام الأول: «أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ٧»

إشارة

إنّ الإمام علي بن أبي طالب أشهر من أن يعرف، ولقد قام لفيف من السنة والشيعة بتأليف كتب وموسوعات في حياته ومناقبه وفضائله وجهاده وعلومه وخطبه وقصار كلماته وسياسته وحروبه مع الناكثين [الطلحة والزبير وأعوانها] والقاسطين [المعاوية وأعوانه] والمارقين [الخوارج]، فالأولى لنا الإكتفاء بالميسور في هذا المجال.

تنصيب علي (ع) للإمامة

لاشكّ في أنّ الدين الإسلامي دين عالمي وشريعة خاتمة، وقد كانت قيادة الأئمة الإسلامية من شؤون النبي الأكرم (ص) ما دام على قيد الحياة، وطبع الحال يقتضي أن يوكل مقام القيادة بعده إلى أفضل أفراد الأئمة وأكملهم. إنّ في هذا المسألة وهي أنّ منصب القيادة بعد النبي (ص) هل هو منصب تنصيبى تعيينى أو أنّه منصب انتخابى اتّجاهين:

ص: ٤٣

فالشيعة ترى أن مقام القيادة منصب تنصيبى ولا بد أن ينصّ على خليفة النبي (ص) من السماء، بينما يرى أهل السنة أن هذا المنصب انتخابى جمهورى! أى إن على الأمة أن تقوم بعد النبي (ص) باختيار فرد من أفرادها لإدارة البلاد!

إن تقسيم الأوضاع السياسية داخل المنطقة الإسلامية وخارجها فى عصر الرسالة يقضى بأن خليفة النبي (ص) لا بد أن يعين من جانب الله تعالى ولا يصح أن يوكل هذا إلى الأمة؛ فإن المجتمع الإسلامى كان مهتداً على الدوام بالخطر الثلاثى (الروم - الفرس - المنافقون) بشنّ الهجوم الكاسح وإلقاء بذور الفساد والاختلاف بين المسلمين.

كما أن مصالح الأمة كانت توجب أن تتوحد صفوف المسلمين فى مواجهة الخطر الخارجى، وذلك بتعيين قائد سياسى من بعده، وبذلك يسد الطريق على نفوذ العدو فى جسم الأمة الإسلامية والسيطرة عليها وعلى مصيرها.

إن المحاسبات الاجتماعية تقول: إنه كان من الواجب أن يتمتع رسول (ص) الإسلام بتعيين قائد للأمة، وإن تحصين الأمة لم يكن ليتحقق إلّا بتعيين قائد للأمة وعدم ترك الأمور للأقدار، ولعلّ لهذه الجهة ولجهات أخرى طرح رسول الإسلام (ص) مسألة

ص: ٤٤

الخلافة في الأيام الأولى من ميلاد الرسالة الإسلامية، وظلّ يواصل طرحها والتذكير بها طوال حياته حتّى الساعات الأخيرة منها، حيث عيّن خليفته ونصّ عليه بالنصّ القاطع الواضح الصريح في بدء دعوته بـ «حديث يوم الدار» و «حديث بدء الدعوة» وفي نهايتها أيضاً بـ «حديث الغدير».

شذرات من فضائله

يطيب لى أن أشير إلى بعض خصائصه قياماً ببعض الوظيفة تجاه ما له من الحقوق على الإسلام والمسلمين عامّة، فنقول: إنّ له خصائص لم يشاركه فيها أحد:

- ١- ولادته في جوف الكعبة.
- ٢- احتضان النبي الأكرم (ص) له منذ صغره.
- ٣- سبقه الجميع في الإسلام.
- ٤- مؤاخاة النبي (ص) له من دون باقي الصحابة.
- ٥- حمله من قبل النبي (ص) على كتفه لطرح الأصنام الموضوعه في الكعبة.
- ٦- استمرار ذرية رسول الله (ص) من صلبه.
- ٧- يصابق النبي (ص) في عينيه يوم خيبر ودعاؤه له بأن لا يصيبه حرّ ولا قز.

ص: ٤٥

- ٨- إنَّ حُبَّ إيمان وبغضه نفاق.
- ٩- إنَّ النبي (ص) باهل النصارى به وبزوجته وأولاده دون سائر الأصحاب.
- ١٠- تبليغه سورة براءة، عن النبي (ص).
- ١١- إنَّ النبي (ص) خصَّه يوم الغدير بالولاية.
- ١٢- إنَّه القائل «سلوني قبل أن تفقدوني».
- ١٣- إنَّ النبي (ص) خصَّه بتغسيله وتجهيزه والصلاة عليه.
- ١٤- إنَّ الناس جميعاً من أرباب الأديان وغيرهم ينظرون إليه كأعظم رجل عرفه التاريخ.
- ١٥- إثارة للنبي (ص) على نفسه في ليلة المبيت.

الإمام الثاني: «أبو محمد الحسن بن علي المجتبى ٨»

إشارة

هو ثاني أئمة أهل البيت الطاهر وأول السبطين وأحد سيدى شباب أهل الجنة وريحانة رسول الله (ص) وأحد الخمسة من أصحاب الكساء، أمه فاطمة بنت رسول الله (ص) سيدة نساء العالمين.

ولد في المدينة ليلة النصف من شهر رمضان سنة ثلاث أو اثنتين من الهجرة، وهو أول أولاد علي (ع) وفاطمة ٣. وروى

ص: ٤٦

عن أنس بن مالك قال: لم يكن أحد أشبه برسول الله (ص) من الحسن بن علي (ع).
و يكفى فى إثبات إمامته ما صرح به النبى (ص) من قوله: «هذان ابنائى إمامان قاما أو قعدا».

قال المفيد: «كانت بيعته يوم الجمعة الحادى والعشرون من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة، فرتب العمال وأمر الأمراء وأنفذ عبد الله بن العباس إلى البصرة، ونظر فى الأمور، فلما بلغ معاوية وفاة أمير المؤمنين وبيعة الناس ابنه الحسن، دس رجلاً من حمير إلى الكوفة ورجلاً من بنى العيين إلى البصرة ليكتبا إليه بالأخبار وليفسدا على الحسن (ع) الأمور. فعرف ذلك الحسن فأمر باستخراج الحميرى من عند لحام فى الكوفة، فأخرج وأمر بضرب عنقه وكتب إلى البصرة باستخراج القينى من بنى سليم، فأخرج وضربت عنقه. ثم إنه استمرت المراسلات بين الحسن (ع) ومعاوية وانجرت إلى حوادث مريرة إلى أن أدت إلى الصلح، واضطر إلى التنازل عن الخلافة.

شهادته ودفنه (ع):

لما نقض معاوية عهده مع الإمام الحسن (ع)، وما كان ذلك

ص: ٤٧

بغريب على رجل أبوه أبوسفیان و أمه هند وهو طليق ابن طلقاء عمد إلى أخذ البيعة ليزيد ولده المشهور بمجونه وتهتكه وزندقته، وما كان شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن علي (ع) فدرس إليه السم، فاستشهد بسببه. ومضوا به من جانب روضة رسول الله (ص) إلى البقيع، ودفنوه عند جدته فاطمة بنت أسد. واستشهد الحسن (ع) وله من العمر ٤٧ عاماً، وكانت سنة استشهاده ٥٠ من الهجرة النبوية، ولما بلغ معاوية موت الحسن (ع) سجد وسجد من حوله! وكبر وكبروا معه!

الإمام الثالث: «أبو عبد الله الحسين بن علي ٨ سيد الشهداء»

هو ثالث أئمة أهل البيت الطاهر وثاني السبطين وسيدى شباب أهل الجنة وريحانتي المصطفى (ص) وأحد الخمسة أصحاب الكساء (عليهم السلام) وسيد الشهداء (ع)، أمه فاطمة بنت رسول الله (ص). ولد في المدينة المنورة في الثالث من شعبان سنة ثلاث أو أربع من الهجرة، ولما استشهد أخوه الحسن في السنة الخمسين من الهجرة أوصى إليه بالإمامة فاجتمعت الشيعة حوله، يرجعون إليه في حلهم وترحالهم، وكان لمعاوية عيون في المدينة يكتبون إليه ما يكون من الأحداث المهمة التي لا توافق هوى

ص: ٤٨

السلطة الأموية المنحرفة.

ولما هلك معاوية في منتصف رجب سنة ٦٠ هجرية كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة وإلى المدينة أن يأخذ الحسين (ع) بالبيعة له. فاسترجع الحسين (ع) وقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السَّلام إذا بليت الأُمِّية براع مثل يزيد... وقد سمعتُ جدِّي رسول الله (ص) يقول: «الخلافة محرمة على آل أبي سفيان الطلقاء وأبناء الطلقاء، فإذا رأيتُم معاوية على منبري فأبقروا بطنه» ولقد رآه أهل المدينة على منبر رسول الله (ص) فلم يفعلوا به ما أمروا، فابتلاهم بابنه يزيد. «ثم إنَّ الحسين (ع) غادر المدينة إلى مكة، ولما بلغ أهل الكوفة هلاك معاوية اجتمعت الشيعة في منزل سليمان بن صرد فاتفقوا أن يكتبوا إلى الحسين (ع) رسائل وينفذوا رسلاً طالين منه القدوم إليهم.

ولما جاءت رسائل أهل الكوفة تترى على الحسين (ع)، أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل - رضوان الله عليه - إلى الكوفة ممثلاً عنه لأخذ البيعة له منهم وللتحقق من جدية هذا الأمر، ثم خرج الإمام من مكة متوجّهاً إلى الكوفة يوم التروية أو يوماً قبله مع أهل بيته وجماعته من أصحابه وشيعته بعد إقامته في

ص: ٤٩

مكة بأربعة أشهر.

ولما أخذ الإمام يقترب من الكوفة استقبله الحرّ بن يزيد الرياحي بألف فارس مبعوثاً من الوالي عبيد الله بن زياد لاستقدامه وإكراهه على إعطاء البيعة ليزيد وإرساله قهراً إلى الكوفة.

وكان الإمام الحسين (ع) يدرك قطعاً أنه يصبح شهيداً إلا أنه أراد يسقي بدمائه الطاهرة المقدسة شجرة الإسلام الوارفة التي يريد الأمويون اقتلاعها من جذورها؛ كما أن الإمام أراد أن يكسر حاجز الخوف الذي أصاب الأمة فجعلها حائرة مترددة أمام طغيان الجبابرة وحكام الجور وأن تصبح ثورته مدرسة تتعلم منها الأجيال معنى البطولة والتضحية من أجل المبادئ والعقائد، وقد تحقق كل ذلك بعد استشهاد الإمام (ع)، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

ثم إنه كان لشهادة الحسين (ع) أثر كبير في إيقاظ شعور الأمة وتشجيعها على الثورة، فلا مغالاة في قول من قال: إن الإسلام محمدي الحدوث، حسيني البقاء والخلود.

لقد استشهد يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم سنة ٦١ من الهجرة وقيل يوم السبت، وكان قد أدرك من حياة النبي

ص: ٥٠

الأكرم (ص) خمس أو ست سنوات، وعاش مع أبيه ٣٦ سنة ومع أخيه ٤٦ سنة، فسلام الله عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

الإمام الرابع: «علي بن الحسين بن علي زين العابدين (ع)»

هو رابع أئمة أهل البيت الطاهر، المشهور بزين العابدين أو سيدهم والسجاد وذى الثنات. ولد في المدينة سنة ٣٧ أو ٣٨ هـ، ولقد تولّى الإمامة بعد استشهاد أبيه الحسين (ع) في كربلاء.

و أمّا ثروته العلميّة والعرفانيّة فهي أدعيته التي رواها المحدثون بأسانيدهم المتضافرة والتي جمعت بما سمّى «بالصحيحة السجّادية» المنتشرة في العالم، فهي زبور آل محمد (ص) وحرّى بنا القول إنّ أدعيته (ع) كانت ذات وجهين: وجه عبادي وآخر اجتماعي يتسق مع مسار الحركة الإصلاحية التي قادها الإمام (ع) في ذلك الظرف الصعب، فهو صاحب مدرسة إلهية تارة يعلم المؤمن كيف يمجّد الله ويقدّسه وكيف يلج باب التوبة، وأخرى يسلك به درب التعامل السليم مع المجتمع فيعلّمه أسلوب البرّ بالوالدين ويشرح حقوق الوالد والولد والأهل

ص: ٥١

والأصدقاء والجيران ثم يبين فاضل الأعمال وما يجب أن يلتزم به المسلم في سلوكه الاجتماعي، كل ذلك بأسلوب تعليمي رائع وبلغ مستلهمًا جوانبها من سيرة الأنبياء وسنن المرسلين، وللإمام علي بن الحسين (ع) رسالة معروفة باسم رسالة الحقوق، وهي من جلائل الرسائل في أنواع الحقوق.

استشهد بالمدينة عام ٩٤ أو ٩٥ هـ. يوم السبت الثاني عشر من محرم وقيل الخامس والعشرين منه.

الإمام الخامس: «أبو جعفر محمد بن علي الباقر ٨»

هو خامس أئمة أهل البيت الطاهر، المعروف بالباقر، وقد اشتهر به لبقره العلم وتفجيره له، ولد بالمدينة غرة رجب سنة ٥٧ هـ. وقيل ٥٦ هـ، واستشهد في السابع من ذي الحجة سنة ١١٤ هـ. وعمره الشريف ٥٧ سنة، عاش مع جده الحسين (ع) ٤ سنين ومع أبيه (ع) بعد جده (ع) ٣٩ سنة، وكانت مدة إمامته (ع) ١٨ سنة.

روى عنه معالم الدين بقیة الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين، وسارت بذكر كلامه الأخبار وأنشدت في مدائحه الأشعار. وأما مناظراته مع المخالفين فحدث عنها ولا حرج، وقد

ص: ٥٢

جمعها العلّامة الطبرسي في كتاب الاحتجاج.

ثم إنّ الشيعة الإمامية أخذت كثيراً من الأحكام الشرعية عنه (ع) وعن ولده البار جعفر الصادق (ع)، حيث روى عنه (ع) الكثير من الروايات الفقهية التي تناولت مختلف جوانب الحياة. وأمّا ما روى عنه في الحكم والمواظ فقد نقلها أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء والحسن بن شعبة الحرّاني في تحفه. وقد استشهد الإمام محمد الباقر (ع) عام ١١٤ هـ، ودفن في البقيع إلى جنب قبر أبيه.

الإمام السادس: «أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق ٨»

هو الإمام السادس من أئمة أهل البيت الطاهر (عليهم السلام)، ولقب بالصادق لصدقه في مقاله، وفضله أشهر من أن يذكر. ولد عام ٨٠ هـ، واستشهد عام ١٤٨ هـ، ودفن في البقيع جنب قبر أبيه محمد الباقر (ع) وجدّه علي بن الحسين (ع) وعمّ جدّه الحسن بن علي (ع). نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من أعيان الأئمة وأعلامهم، مثل يحيى بن سعيد الأنصاري وابن جريح ومالك بن أنس والثوري وابن عيينة وأبو حنيفة وشعبة وأبو أيوب

ص: ٥٣

السجستاني وغيرهم، وعدّوا أخذهم عنه منقبة شرفوا بها وفضيلة اكتسبوها. وإنك إذا تتبعت كتب التاريخ والتراجم والسير تقف على اتفاق الأئمة على إمامته في العلم والقيادة الروحية وإن اختلفوا في كونه إماماً منصوباً من قبل الله عز وجل، فذهبت الشيعة إلى الثاني نظراً إلى النصوص المتواترة المذكورة في مظانها. ولقد امتد عصر الإمام الصادق (ع) من آخر خلافة عبد الملك بن مروان إلى وسط خلافة المنصور الدوانيقي، وقضى سنوات عمره الأولى حتى الحادية عشرة من عمره مع جدّه زين العابدين وحتى الثانية والثلاثين مع أبيه الباقر (ع)، فاختص بعد استشهاد أبيه بالزعامة سنة ١١٤ هـ، واتّسمت مدرسته بنشاط الحركة العلمية في المدينة ومكة والكوفة وغيرها من الأقطار الإسلامية. وقد اتّسم العصر المذكور الذي عاشه الإمام (ع) بظهور الحركات الفكرية ووفود الآراء الاعتقادية الغريبة إلى المجتمع الإسلامي، وأهمها هي حركة الغلاة الهدامة، فكانوا يبنّون الأحاديث الكاذبة ويسندونها إلى حملة العلم من آل محمد (عليهم السلام) ليغروا بها العامة، فكان المغيرة بن سعيد يدعى الاتصال بأبي

ص: ٥٤

جعفر الباقر(ع) ويروى عنه الأحاديث المكذوبة، فأعلن الإمام الصادق(ع) كذبه والبراءة منه.

ثم إنَّ الإمام قام بهداية الأمة إلى النهج الصواب، وتربَّى على يديه آلاف من المحدثين والفقهاء، فكانوا أربعة آلاف رجل؛ فإنَّ الإمام كان بحقَّ سفينة النجاة من هذا المعترك العسر. إنَّ للإمام الصادق(ع) وراء ما نشر عنه من الأحاديث في الأحكام التي تتجاوز عشرات آلاف، والمناظرات مع الزنادقة والملحدين في عصره والمتقشفين من الصوفية، وقد ضبط المحققون كثيراً منها، وهي في حدِّ ذاتها ثروة علمية تركها الإمام(ع).

و أمّا الرواية عنه في الأحكام فقد روى عنه أبان بن تغلب ثلاثين ألف حديث حتّى أنَّ الحسن بن علي الوشاء قال: أدركتُ في هذا المسجد(مسجد الكوفة) تسعمئة شيخ كلَّ يقول حدَّثني جعفر بن محمد(ع)، بل كان يحضر حلقات درسه الفلاسفة وطلّاب العلم من الأنحاء القصية، وكان الإمام «الحسن البصري» مؤسس المدرسة الفلسفية في مدينة البصرة وواصل بن عطاء مؤسس مذهب المعتزلة من تلاميذه الذين نهلوا من معين علمه الفياض.

ولما استشهد الإمام شيعة عامة الناس في المدينة وحمل إلى

ص: ٥٥

البقيع، ودفن في جوار أبيه وجده (ع)، فسلام الله عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

الإمام السابع: «أبو الحسن موسى بن جعفر الكاظم ٨»

ولد بالأبواء بين مكة والمدينة يوم الأحد في ٧ صفر سنة ١٢٨ هـ، كان (ع) نموذج عصره وفريد دهره، عظيم الحلم حتى سمي لذلك كاظماً، لاقى من المحن ما تنهد لهولها الجبال، فلم تحرك منه طرفاً، بل كان (ع) صابراً محتسباً كحال آبائه وأجداده، يعرف بأسماء عديدة منها: العبد الصالح، والكاظم، والصابر، والأمين.

قال الشيخ المفيد: «هو الإمام بعد أبيه والمقدم على جميع بنيه، لاجتماع خصال الفضل فيه، وورود صحيح النصوص وجلّى الأقوال عليه من أبيه بأنه ولي عهده والإمام القائم من بعده». وقد تولى منصب الإمامة بعد أبيه الصادق (ع) في وقت شهدت فيه الدولة العباسية استقرار أركانها وثبات بنيانها، فشهد الإمام الكاظم (ع) طيلة سني حياته صنوف التضيق والمزاحمة إلا أن ذلك لم يمنعه (ع) من أن يؤدى رسالته في حماية الدين وقيادة الأمة.

وقد قام هارون الرشيد باعتقال الإمام الكاظم (ع) وإيداعه

ص: ٥٦

السجن لسنين طويلة مع تأكيده على سجنائه بالتشديد والتضييق عليه، ولم يزل ذلك الأمر حتى نُقل إلى سجن السندی بن شاهك وكان فاجراً فاسقاً، فغالى في سجن الإمام(ع) وزاد في تقييده حتى جاء أمر الرشيد بدس السم للكاسم(ع)، فأُسرع السندی إلى إنفاذ هذا الأمر العظيم، واستشهد الإمام(ع) بعد طول سجن ومعاناة في عام ١٨٣ هـ، وأخرج جسمانه الطاهر ووضع على الجسر ببغداد، ونودي بوفاته، ودفن في الجانب الغربي في المقبرة المعروفة بمقابر قریش المشهورة في أيامنا هذه بالكاظمية، فالسلام عليه يوم ولد ويوم استشهد سجيناً مظلوماً مسموماً ويوم يبعث حياً.

الإمام الثامن: «أبوالحسن على بن موسى الرضا ٨»

ولد في المدينة سنة ١٤٨ هـ، هو الإمام الثامن من أئمة أهل البيت القائم بالإمامة بعد أبيه ١٨٣ هـ. موسى بن جعفر لفضله على جماعته أهل بيته وبنيه وإخوته في عصره ولعلمه وورعه وكفاءته لمنصب الإمامة، مضافاً إلى النصوص الواردة في حقه من أبيه على إمامته، وكانت مدة إمامته بعد أبيه ٢٠ سنة.

وقد عاش الإمام الرضا(ع) في عصر ازدهرت فيه الحضارة

ص: ٥٧

الإسلامية، وكثرت الترجمة لكتب اليونانيين والرومانيين وغيرهم وازداد التشكيك في الاصول والعقائد من قبل الملاحدة وأخبار اليهود وبطارقة النصارى ومجسمة أهل الحديث، وفي تلك الأزمنة اتاحت له (ع) فرصة المناظرة مع المخالفين على اختلاف مذاهبهم، فظهر برهانه وعلا شأنه، يقف على ذلك من اطلع على مناظراته واحتجاجاته مع هؤلاء. ولما انتشر علم الإمام الرضا (ع) وفضله كثر التفاف المسلمين حوله وازدادت أعدادهم مما دفع بالخلافة العباسية إلى مناورة ذكية مكررة. حين استقدم الإمام الرضا (ع) وجمله من وجوه الطالبين إلى مقر الحكومة آنذاك في مرو من مدينه رسول الله (ص) وأصر على الامام (ع) أن يقبل بولاية العهد.

و كان الإمام في مرو يقصده البعيد والقريب من مختلف الطبقات، وقد انتشر صيته في بقاع الأرض وعظم تعلق المسلمين به، مما أثار مخاوف المأمون وتوجسه من أن ينفلت زمام الأمر من يديه على عكس ما يتمناه وما كان يبتغيه من ولاية العهد هذه، كل ذلك وغيره دفع المأمون إلى أن يريح نفسه وقومه من هذا الخطر فدرس إليه السم، واستشهد في طوس من أرض خراسان في صفر ٢٠٣ هـ. وله يومئذ ٥٥ سنة.

ص: ٥٨

و دفن في مدينة طوس في قبر ملاصق لقبر هارون الرشيد، وقبر الإمام الرضا(ع) الآن مزار مهيب يتقاطر المسلمون على زيارته والتبرّك به.

فسلام الله عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حياً.

الإمام التاسع: «أبو جعفر محمد بن علي الجواد ٨»

ولد بالمدينة المنورة في شهر رمضان من سنة خمس وتسعين بعد المائة فورث الشرف من آبائه وأجداده واستسقت عروقه من منبع النبوة وارتوت شجرته من منهل الرسالة.

قام بأمر الولاية بعد شهادة والده الرضا(ع) عام ٢٠٣ هـ، واستشهد ببغداد عام ٢٢٠ هـ، أدرك خلافة المأمون وأوائل خلافة المعتصم. أمّا إمامته ووصايته فقد وردت فيها النصوص الوافرة، لقّب بالجواد والقانع والمرضى والنقيب والتقى والزكي وغيرها من الألقاب الدالة على علوّ شأنه وارتفاع منزلته.

لما استشهد الرضا(ع) كان الإمام الجواد في المدينة وقام بأمر الإمامة بوصيه من أبيه وله من العمر تسع أو عشر سنين، وكان المأمون قد مارس معه نفس السياسة التي مارسها مع أبيه(ع)، وهو استقدام أهل البيت من موطنهم إلى دار الخلافة لكي

ص: ٥٩

يشرف على حركاتهم وسكناتهم، فزوجه ابنته أم الفضل وحملها معه إلى المدينة، وكان حريصاً على إكرامه وتعظيمه وإجلال قدره، وسكن بها مدة إلى أن توفي المأمون وبويع المعتصم ولم يزل المعتصم متفكراً في أبي جعفر يخاف من اجتماع الناس حوله ووثوبه على الخلافة، فاستقدم الإمام الجواد (ع) إلى بغداد سنة ٢٢٠ هـ، وبقي فيها (ع) حتى استشهد في آخر ذي القعدة من تلك السنة، وله من العمر ٢٥ سنة وأشهر، ودفن عند جدّه موسى بن جعفر في مقابر قريش؛ وقال ابن شهر آشوب: إنّه قبض مسموماً، فسلام الله على إمامنا الجواد يوم ولد ويوم مات أو استشهد بالسّم ويوم يبعث حيا.

الإمام العاشر: «أبو الحسن علي بن محمد الهادي ٨»

ولد عام ٢١٢ هـ. وهو من بيت الرسالة والإمامة ومقرّ الوصاية والخلافة وثمره من شجرة النبوة، قام (ع) بأمر الإمامة بعد والده الإمام الجواد (ع)، وقد عاصر خلافة المعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز، وله مع هؤلاء قضايا لا يتسع المقام لذكرها. وقد اجتمعت فيه خصال الإمامة وثبت النص عليه بالإمامة والإشارة إليه من أبيه بالخلافة.

ص: ٦٠

لقد مارس المتوكل ثم أخوه المعتصم من إشخاص الأئمة أهل البيت من موطنهم وإجبارهم على الإقامة في مقر الخلافة وجعل العيون والحراس عليهم حتى يطلعوا على دقيق حياتهم وجليها.

روى الحفاظ والرواة عن الإمام أحاديث كثيرة في شتى المجالات من العقيدة والشرعة. استشهد أبوالحسن في رجب سنة أربع وخمسين ومائتين، ودفن في داره بسر من رأى.

الإمام الحادى عشر: «أبومحمد الحسن بن على العسكرى ٨»

أبومحمد الحسن بن على بن محمد (عليهم السلام) أحد أئمة أهل البيت، وهو الإمام الحادى عشر، الملقب بالعسكرى، ولد عام ٢٣٢ هـ، اشخص والده إلى العراق سنة ٢٣٦ هـ. وله من العمر أربع سنين وعدة شهور، وقام بأمر الإمامة والقيادة الروحية بعد شهادة والده. وقد اجتمعت فيه خصال الفضل وبرز تقدمه على كافة أهل العصر، واشتهر بكمال الفضل والعلم والزهد والشجاعة. وقد روى عنه لفيف من الفقهاء والمحدثين يربو عددهم على ١٥٠ شخصاً. واستشهد عام ٢٦٠ هـ، ودفن في داره التي دفن فيها أبوه بسامراء، وخلف ابنه المنتظر لدولة الحق. وكان قد

ص: ٤١

أخفى مولده وستر أمره لصعوبة الوقت وشدة طلب السلطة واجتهادها في البحث عن أمره؛ ولكن الله سبحانه حفظه من شرار أعدائه كما حفظ سائر أوليائه كإبراهيم الخليل وموسى الكليم فقد خابت السلطة في طلبهما والاعتداء عليهما. وقد اشتهر الإمام بالعسكرة لأنه منسوب إلى عسكر، ويراد بها سر من رأى التي بناها المعتصم وانتقل إليها بعسكره.

الإمام الثاني عشر: «المهدي بن الحسن المنتظر»

إشارة

هو أبو القاسم محمد بن الحسن العسكرة (ع) الحجة، الخلف الصالح، ولد بـ «سر من رأى» ليلة النصف من شعبان، سنة خمس وخمسين ومئتين وله من العمر عند استشهاد أبيه خمس سنين، آتاه الله الحكم صبياً كما حدث ليحيى (ع)، حيث قال سبحانه: (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا) (١)، وجعله إماماً وهو طفل كما جعل المسيح (ع) نبياً وهو رضيع، قال سبحانه عن لسانه وهو يخاطب قومه في المهدي: (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا) (٢) اتفق المسلمون على ظهور المهدي في آخر الزمان لإزالته

١- مريم: ١٢.

٢- همان: ٣٠.

ص: ٦٢

الجهل والظلم والجور، ونشر أعلام العدل وإعلاء كلمه الحق وإظهار الدين كله ولو كره المشركون. (١) فهو بإذن الله ينجي العالم من ذل عبودية غير الله، ويلغي الأخلاق والعادات الذميمة، ويبطل القوانين الكافرة التي سنّها الأهواء، ويقطع أواصر العصبية القومية والعنصرية، ويمحو أسباب العداوة والبغضاء التي صارت سبباً لاختلاف الأمة وافتراق الكلمة، ويحقق الله سبحانه بظهوره وعده الذي وعد به المؤمنين (٢).

و تشهد الأمة بعد ظهوره عصرًا ذهبياً لا يبقى فيه على الأرض بيت إلّا ودخلته كلمة الإسلام، ولا تبقى قرية إلّا وينادي فيها بشهادة «لا إله إلّا الله» بكرة وعشياً.

و إنّما الاختلاف بين الشيعة والسنة في ولادته، فالشيعة ذهبت إلى أنّ المهدي الموعود هو الإمام الثاني عشر الذي ولد بسامراء عام ٢٥٥ هـ، واختفى بعد استشهاد أبيه عام ٢٦٠ هـ، وقد تضافرت عليه النصوص من آباءه على وجه ما ترك شكاً ولا شبهة، ووافقتهم جماعة من علماء أهل السنة وقالوا بأنّه ولد

١- صف: ٩، توبه: ٣٣، فتح: ٢٨.

٢- النور: ٥٥، قصص: ٥، الأنبياء: ١٠٥، يونس: ٨٢، أنفال: ٨.

ص: ٦٣

وأَنَّهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيُّ [. نَعَمْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ قَالُوا: بِأَنَّهُ سَيُولَدُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ .
وَبِمَا أَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ أَدْرَى بِمَا فِي الْبَيْتِ، فَمَنْ رَجَعَ إِلَى رَوَايَاتِ أَثْمَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ فِي كُتُبِهِمْ يَظْهَرُ لَهُ الْحَقُّ .
ثُمَّ إِنَّ لِلْمَهْدِيِّ [غَيْبَتَيْنِ صَغْرَى [٢٦٠ - ٣٢٩ هـ] وَكَبْرَى [٣٢٩ هـ . إِلَى الْآنَ] .
وَأَمَّا مَنْ رَأَى الْحِجَّةَ (ع) فِي زَمَانِ أَبِيهِ وَفِي الْغَيْبَةِ الصَّغْرَى وَحَتَّى فِي الْكَبْرَى فَحَدَّثَ عَنْهُ وَلَا حَرَجَ .

أَسْئَلَةُ مَهْمَةِ حَوْلِ الْمَهْدِيِّ (عج)

السؤال الأول: كيف يكون إماماً وهو غائب؟ وما فائدته؟!

إِنَّ الْقِيَادَةَ وَالْهِدَايَةَ وَالْقِيَامَ بِوُضَائِفِ الْإِمَامَةِ هُوَ الْغَايَةُ مِنْ تَنْصِيبِ الْإِمَامِ أَوْ اخْتِيَارِهِ، وَهُوَ يَتَوَقَّفُ عَلَى كَوْنِهِ ظَاهِراً بَيْنَ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ مُشَاهِداً
لَهُمْ، فَكَيْفَ يَكُونُ إِمَاماً قَائِداً وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهُمْ؟!
وَالْجَوَابُ عَلَى وَجْهَيْنِ نَقِیْضاً وَحَلِّماً: أَمَّا النِّقْضُ: فَإِنَّ التَّرْكِيزَ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ يَعْرِبُ عَنْ عَدَمِ التَّعَرُّفِ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَأَنَّهِمْ بَيْنَ ظَاهِرٍ
قَائِمٍ بِالْأُمُورِ، وَمَخْتَفٍ قَائِمٍ بِهَا مِنْ دُونِ أَنْ يَعْرِفَهُ

ص: ٦٤

الناس.

حتى نبي زمانه كما يخبر سبحانه عن مصاحب موسى (ع) بقوله: (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا) (١) فالقرآن إذن يدل على أن الولي ربما يكون غائبا ولكنه مع ذلك لا يعيش في غفلة عن أمته، بل يتصرف في مصالحها، ويرعى شؤونها من دون أن يعرفه أبناء الأئمة. وليست غيبته الإمام المهدي (ع) بدعا في تاريخ الأولياء فهذا موسى (ع) ابن عمران قد غاب عن قومه قرابة أربعين يوماً وكان نبياً ولياً. (٢) وأما الحل: فمن وجوه:

الوجه الأول: إن عدم علمنا بفائدة وجوده في زمن غيبته لا يدل على عدم كونه مفيداً في زمن غيبته، ولا شك أن عقول البشر لا تصل إلى كثير من الأمور المهمة في عالم التكوين والتشريع، بل لا تفهم مصلحة كثير من سننه وإن كان فعله سبحانه منزهاً عن العبث، بعيداً عن اللغو، وعلى ذلك فيجب علينا التسليم أمام التشريع إذا وصل إلينا بصورة صحيحة كما

١- كهف: ٦٥-٨٢.

٢- الأعراف: ١٤٢ وأيضاً الأنبياء: ٨٧-٨٨.

ص: ٦٥

عرفت من تواتر الروايات على غيبته.

الوجه الثاني: إن الغيبة لا تلازم عدم التصرف في الأمور وعدم الاستفادة من وجوده.

كما دلت الروايات على أنه يغيث المضطرين ويعود المرضى، وربما يتكفل - بنفسه الشريفة قضاء حوائجهم وإن كان الناس لا يعرفونه.

الوجه الثالث: إن الصلحاء من الأئمة الذين يستدرّ بهم الغمام، لهم التشرف ببقائه والاستفادة من نور وجوده، وبالتالي تستفيد الأمة بواسطتهم.

الوجه الرابع: لا يجب على الإمام أن يتولّى التصرف في الأمور الظاهرية بنفسه، بل له تولية غيره على التصرف في الأمور كما فعل الإمام المهدي - ارواحنا له الفداء - في غيبته. ففي الغيبة الصغرى: كان له وكلاء أربعة يقومون بحوائج الناس، وكانت الصلوة بينه وبين الناس مستمرة بهم، وفي الغيبة الكبرى نصب الفقهاء والعلماء العدول العالمين بالأحكام للقضاء وتدير الأمور وإقامة الحدود، وجعلهم حجة على الناس، فهم يقومون في عصر الغيبة بصيانة الشرع عن التحريف وبيان الأحكام ودفع الشبهات وبكل ما يتوقف عليه نظم أمور الناس. ولغيبته (ع)

ص: ٦٦

فوائد كثيرة آخر تذكر في مجالها.

السؤال الثاني: لماذا غاب المهدي [!؟]

الجواب: أن هذا السؤال يجب عليه بالنقض والحل؛

أما النقض: الاعتراف بقصور أفهامنا أولى من رد الروايات المتواترة، بل هو المتعين.

و أما الحل: فإن الإمام المهدي (ع) فلو كان ظاهراً لأقدموا على قتله إطفاءً لنوره، فلأجل ذلك اقتضت المصلحة أن يكون مستوراً عن أعين الناس إلى أن تقتضى مشيئة الله سبحانه ظهوره بعد حصول استعداد خاص في العالم لقبوله والإنصواء تحت لواء طاعته.

السؤال الثالث: الإمام المهدي [وطول عمره؟!]

الجواب من وجهين: نقضاً وحلاً؛

أما النقض: فقد دلّ الذكر الحكيم على أن شيخ الأنبياء عاش قرابة ألف سنة، قال تعالى: (فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا). (١)

ص: ٦٧

و قد تَصَمَّنَت التوراء أسماء جماعة كثيرة من المعمرين، وذكرت أحوالهم في سفر التكوين، وقد قام المسلمون بتأليف كتب حول المعمرين.

و أمّا الحلّ: فإنّ السؤال عن إمكان طول العمر يعرب عن عدم التعرّف على سعة قدرة الله سبحانه: (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ). (١) أضف إلى ذلك ما ثبت في علم الأحياء، من إمكان طول عمر الإنسان إذا كان مراعيًا لقواعد حفظ الصحة، وأنّ موت الإنسان في فترة متدنية ليس لقصور الإقتضاء، بل لعوارض تمنع عن استمرار الحياة، ولو أمكن تحصين الإنسان منها بالأدوية والمعالجات الخاصة لطال عمره ما شاء.

فلو فرض في حياة شخص اجتماع موجبات الصحة من كلّ وجه طال عمره إلى ما شاء الله.

السؤال الرابع: ما هي علائم ظهوره؟!

الجواب: إنّ ما جاء في كتب الأحاديث من الحوادث والفتن الواقعة في آخر الزمان ... عبارة عن أمور، عدّه منها:

١- الأنعام: ٩١.

ص: ٦٨

- ١- النداء في السماء.
 - ٢- الخسوف والكسوف في غير مواقعهما.
 - ٣- الشقاق والنفاق في المجتمع.
 - ٤- ذبوع الجور والظلم والهرج والمرج في الامة.
 - ٥- ابتلاء الإنسان بالموت الأحمر والأبيض.
 - ٦- قتل النفس الزكية.
 - ٧- خروج الدجال.
 - ٨- خروج السفيناني.
- وغير ذلك مما جاء في الأحاديث الإسلامية. هذه هي علامات ظهوره، ولكن هناك أمور تمهد لظهوره وتسهل تحقيق أهدافه نشير إلى أبرزها:
- ١- الاستعداد العالمي.
 - ٢- تكامل العقول.
 - ٣- تكامل الصناعات.
 - ٤- الجيش الثوري العالمي.

الفصل الثالث: دور الشيعة في بناء الحضارة الإسلامية

تمهيد:

إن الحضارة الإسلامية تعدّ بلا شكّ من أكبر الحضارات في تاريخ الإنسان وأكثرها اهتماماً بالعلم والفلسفة والأدب والفنون، وهي الأساس الوطيد الذي قامت عليه حركة النهضة الأوروبية، إنّها حضارة حقيقية تركز على أسس أخلاقية وعقائدية سماوية، ضربت جذورها في أعماق البناء الإنساني واستطاعت أن تجعل منه وكما أراد خالقه له أن يكون خليفته في أرضه. إنّ مؤسس الحضارة الإسلامية هو النبي الأكرم (ص)، وقد جاء

ص: ٧٠

بسُنن وقوانين دفعت البشرية إلى مكارم الأخلاق كما دفعتهم إلى متابعة العلوم والفنون واستغلال الموارد الطبيعية وتكوين مجتمع تسود فيه النظم الاجتماعية المستقيمة، فأصبحت لهم قوّة اقتصادية ونظم سياسية وتقاليديّة وخلقته، وأعطوا العلوم المختلفة جلّ اهتمامهم، فبرز منهم العديد من العلماء المتفوّقين والبارعين في شتّى مناحي العلم، ورفدوا حركة تطوّر الحضارة البشرية بجهودهم المخلصة.

و الذي يطيب لنا هنا ذكر مشاركة الشيعة في بناء هذه الحضارة:

أولاً: قدماء الشيعة وعلم البيان.

ثانياً: قدماء الشيعة وعلم النحو:

إنّ دراسة القرآن بين الأمّة ونشر مفاهيمه يتوقّف على معرفة العلوم التي تعدّ مفتاحاً له، إذ لولا هذه العلوم ونضجها لحرم جميع المسلمين حتّى العرب منهم من الاستفادة من القرآن الكريم، فقام أبو الأسود الدؤلي بوضع قواعد نحويّة بأمر الإمام أمير المؤمنين (ع)، فأبو الأسود إمّا واضع علم النحو أو مدوّنه، وكان من سادات التابعين، وقد صاحب عليّاً، وشهد معه صفين، ثمّ أقام في البصرة. توفي سنة ٦٩ هـ.

ص: ٧١

وكان الخليل من أصحاب الإمام الصادق (ع) ومن شيعته، وممن أُلّف في علم النحو من قدماء الشيعة عطاء بن أبي الأسود وحمّان بن أعين أخو زرارة بن أعين وأبو عثمان المازني وبكر بن محمد ويعقوب بن إسحاق السكيت الذي قتله المتوكل لأجل تشييعه عام ٢٤٤ هـ، وقد خَلَف بضعة وعشرين أثراً في النحو واللغة والشعر.

وكذلك ابن حمدون وأحمد بن إبراهيم وأبو إسحاق النحوي وثعلبة بن ميمون وقتيبة النحوي الجعفي الكوفي، هذا في القرون الأولى. وأمّا من تلاحم من الأعلام بينهم شخصيات بارزة كالشريف المرتضى والشريف الرضي وابن الشجري، ونجم الأئمة الرضوي الاسترآبادي.

ثالثاً: قدماء الشيعة وعلم الصرف:

إنّ أوّل من دوّن الصرف أبو عثمان المازني، وكان قبل ذلك مندرجاً في علم النحو، كما ذكره في كشف الظنون وشرحه أبو الفتح عثمان بن جني المتوفى في ٣٩٢ هـ، وأبسط كتاب في الصرف ما كتبه نجم الأئمة محمّد بن الحسن الأسترآبادي الغروي، وله شرح الشافية في الصرف كما له شرح الكافية في

ص: ٧٢

النحو، وكلا كتابيه جليل الخطر محمود الأثر قد جمع فيهما بين الدلائل والمباني.

رابعاً: قدماء الشيعة وعلم اللغة:

ونريد بعلم اللغة: الاشتغال بألفاظ اللغة من حيث أصولها واشتقاقاتها ومعانيها، وقد ظهر في ميدان هذا العلم المهم جملة واسعة من علماء الشيعة. ومن هؤلاء الأفاضل:

١- الخليل بن أحمد البصري الفراهيدي الأزدي، وهو أول من ضبط اللغة وأول من استخرج علم العروض إلى الوجود، فألف كتابه «العين»، ورتب ذلك على حروف الهجاء. والخليل من أعلام القرن الثاني الهجري، وكان إمامي المذهب.

٢- أبان بن تغلب بن رباح الجريري: من أصحاب الباقر والصادق (ع).

٣- ابن حمدون النديم.

٤- أبوبكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي صاحب «الجمهرة في اللغة»، واختصره صاحب بن العباد وسمّاه «جوهرة الجمهرة»، ومن كتبه في اللغة «المحيط» عشرة مجلدات.

خامساً: قدماء الشيعة وعلم العروض:

الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري وكافي الكفاة صاحب

ص: ٧٣

بن عباد، له كتاب «الإقناع في العروض» وهبة الدين الشهرستاني (١٣٠١ - ١٣٨٦ هـ). والشيخ مصطفى التبريزي (١٢٩٨ - ١٣٣٨ هـ). وأبوالمجد الشيخ محمد رضا الإصفهاني (١٢٨٦ - ١٣٦٢ هـ).

سادساً: قدماء الشيعة وطرائف الشعر:

و نريد بالشعر ما يحتوى على المضامين العالية في الحياة وما يبت روح الجهاد في الإنسان، فإننا نعنى بحديثنا هنا أولئك الشعراء الذين أوقفوا أشعارهم في خدمة كلمة الحق وإعلاء شأن الدين الحنيف. وإليك أسماء بعض من شعراء الشيعة:

قيس بن سعد بن عبادة سيد الخزرج والصحابي الكبير والكميت بن زيد والسيد الحميري (ت ١٧٣ هـ) أبوهاشم إسماعيل بن محمد الملقب بالسيد ودعبل الخزاعي (المتوفى ٢٤٦ هـ) يرجع نسبه إلى بديل بن ورقاء الخزاعي الذي دعا له النبي (ص) والأمير أبو فراس الحمداني (٣٢٠ - ٣٥٧ هـ) وابن الحجاج البغدادي (المتوفى ٣٢١ هـ)؛ الشريف الرضي (٣٥٩ - ٤٠٦ هـ) والشريف المرتضى (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ) ومهيار الديلمي (المتوفى ٤٤٨ هـ).

سابعاً: قدماء الشيعة وعلم التفسير:

ص: ٧٤

إنَّ أئمةَ أهل البيت - بعد الرسول الأكرم (ص) - هم المُفسِّرون الحقيقيون للقرآن الكريم، حيث فسَّروا القرآن بالعلوم التي نحلهم الرسول (ص) بأقوالهم وأفعالهم وتقاريراتهم التي لا تشذَّ عن قول الرسول (ص) وفعله وتقديره.

وقد قام فضلاء الشيعة من صحابة الإمام على (ع) والتابعين له إلى العصر الحاضر إما بتفسير جميع سورته أو بعضها، والغالب على التفاسير المعروفة في القرون الثلاثة الأولى هو التفسير بالأثر، ولكن انقلب النمط إلى التفسير العلمي والتحليلي من أواخر القرن الرابع، فأول من ألف من الشيعة على هذا المنهج هو الشريف الرضي (٣٥٩-٤٠٦ هـ) مؤلف كتاب «حقائق التأويل» في عشرين جزءاً.

ثمَّ الشريف المرتضى في أماليه المعروف به «الدرر والغرر» ثم الشيخ الأكبر الطوسي (٣٨٥-٤٦٠ هـ) مؤلف «البيان في تفسير القرآن» في عشرة أجزاء كبار.

واستمرار الأمر إلى عصرنا هذا، فقد قامت الشيعة في كلِّ قرن بتأليف عشرات التفاسير وفق أساليب متنوّعة ولغات متعدّدة، لايحصيها إلّا المتوغلُّ في المعاجم فبلغ عددهم (١٢٢) مفسراً معروفاً.

ص: ٧٥

ثامناً: قدماء الشيعة وعلم الحديث:

قام الإمام أمير المؤمنين (ع) بتأليف عدّة كتب في زمان النّبي (ص)، فقد أملى رسول الله كثيراً من الأحكام عليه وكتبها الإمام، واشتهر بكتاب علي، وتبعه ثلّة من الصحابة الذين كانوا شيعة له. وإليك أسماء من اهتمّ بتدوين الآثار وما له صلة بالدين وإن لم يكن حديث الرسول (ص): أبورافع وسلمان فارسي وأبوذر غفاري وأصبع بن نباتة المجاشعي وعبدالله بن أبي رافع المدني وربيعه بن سميع وسليم بن قيس هلالى وعلى بن أبي رافع وعبيدالله بن الحرّ الجعفي والإمام السّجاد زين العابدين على بن الحسين (ع) وجابر بن يزيد بن الحارث الجعفي وجارود بن منذر.

وأنّهم لم يقيموا لمنع الخلفاء وزناً ولا قيمة، وبذلك حفظوا نصوص النّبي الأكرم (ص) وأهل بيته وقدّموها إلى المجتمع الإسلامي، فعلى جميع علماء المسلمين أن يتمسّكوا بهذا الجبل الذي هو أحد الثقلين.

تاسعاً: قدماء الشيعة والفقهاء الإسلامى:

إنّ الفقه الشيعى هو الشجرة الطيبة الراسخة الجذور المتصلة الأسس بالنّبوّة والتي امتازت بالسعة والشمولية والعمق والدقّة

ص: ٧٦

والقدرة على مسامرة العصور المختلفة، يعتمد في الدرجة الاولى على القرآن الكريم، ثم على السنة المحمّدية المنقولة عن النبي (ص) عن طريق العترة الطاهرة أو الثقات من أصحابهم والتابعين لهم بإحسان، وكذلك يتخذ من العقل دليلاً وأيضاً الإجماع الكاشف عن وجود النص في المسألة أو موافقة الإمام المعصوم مع المجمعين في عصر الحضور، ولم يقفل باب الاجتهاد منذ رحلة النبي (ص) إلى يومنا هذا، بل فتح بابه طيلة القرون، فأنتج عبر العصور فقهاء عظاماً وموسوعات كبيرة لم يشهد التاريخ لها ولهم مثيلاً، كزرارة بن أعين ومحمد ابن مسلم وبريد بن معاوية والفضل بن يسار وجميل بن دراج وعبدالله بن مسكان وعبدالله بن بكير وحمّاد بن عثمان وحمّاد بن عيسى وأبان بن عثمان ومحمد بن أبي عمير والحسن بن محبوب، وكلّهم خرّيجو مدرسة أهل البيت، ولقد خلفوا آثاراً علمية باسم الأصل والكتاب والنوادر والجامع والمسائل وعناوين أخرى، فخلفوا جوامع فقهية مهمة كانت ولا زالت خير زاد للمسلمين. ومن هؤلاء الأعلام: أيضاً صفوان بن يحيى وأحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٧٤ هـ). صاحب كتاب المحاسن وغيره ومحمد بن أحمد بن يحيى الأشعري القمي (ت ٢٩٣ هـ). وأحمد

ص: ٧٧

ابن محمد بن أبي نصر البزنطي (ت ٢٢١ هـ).

على بن الحسين بن بابويه (ت ٣٢٩ هـ) وجعفر بن محمد بن قولويه أستاذ الشيخ الصدوق ومؤلف كامل الزيارات ومحمد بن علي بن الحسين الصدوق (٣٠٦ - ٣٨١ هـ) مؤلف كتاب من لا يحضره الفقيه والمقنع والهداية ومحمد بن أحمد بن الجنيّد المعروف بالإسكافي (٣٨٥ هـ) والشيخ المفيد (٣٣٦ - ٤١٣ هـ) والسيد المرتضى (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ) والشيخ الكراجكي (ت ٤٤٩) والشيخ الطوسي (٣٨٥ - ٤٦٠ هـ).

و يشهد الله أن علماء الشيعة قاموا بهذه الجهود في ظروف قاسية ورهيبة، وكانت الحكومات الظالمة ومرترقتها لا ينفكون عن مطاردتهم وإيداعهم في السجون وعرضهم على السيف، وأين هؤلاء من الفقهاء الذين تنعموا بالهدوء والاستقرار واستقبلتهم السلطات الحاكمة بصدور رحب واجيزوا مقابل أبيات معدودة من الشعر الرخيص أو كتيب أو رسالة صغيرة بالهبات والعطايا؟! كابن مالك.

عاشراً: قدماء الشيعة وعلم أصول الفقه:

إن افتقاد النص في مجال التشريع الذي واجه فقهاء أهل السنة بعد رحلة النبي (ص) هو الذي دعاهم إلى التفحص عن

ص: ٧٨

الحل لهذه الأزمة حتى تسد حاجاتهم الفقهية، فعكفوا على المقاييس الظنية التي ما أنزل الله بها من سلطان كالقياس والاستقراء والاستحسان وسد الذرائع وسنة الخلفاء أو سنة الصحابة أو رأى أهل المدينة إلى غير ذلك من القواعد أسسوا عليها فقههم عبر قرون متتالية.

و أمّا الشيعة فحيث إنهم لم يفتقدوا سنة الرسول (ص) بعد وفاته لوجود باب علم النبي (ص) على (ع) والأئمة المعصومين - بين ظهرانيهم، فلم تكن هناك أية حاجة للعمل بتلك المقاييس.

نعم انبرى أئمة أهل البيت إلى إملاء ضوابط وقواعد يرجع إليها الفقيه عند فقدان النص أو إجماله أو تعارضه إلى غير ذلك من الحالات التي يواجه بها الفقيه، وتلك الأصول هي التي تكون أساساً لعلم أصول الفقه.

نعم، يمكن عدّها مرحلة أولى ونواة بالنسبة إلى المرحلة الثانية. وأمّا المرحلة الثانية فقد امتازت بالسعة والشمول بإدخال كثير من المسائل الأدبية والكلامية في علم أصول الفقه. وأول من فتح هذا الباب للشيعة على مصراعيه: معلّم الأئمة الشيخ المفيد (٣٣٦-٤١٣ هـ) والسيد المرتضى والشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠ هـ) وابن زهره المتوفى عام (٥٨٥ هـ).

ص: ٧٩

الشيخ سديد الدين الحمصي المتوفى حدود سنة (٦٠٠ هـ). وقد تلتها مراحل أخرى إلى أن بلغت في القرن الرابع عشر ذروتها وقمّتها، شكر الله مساعيهم.

حادى عشر: قدماء الشيعة وعلم المغازى والسير:

لقد قيض الله سبحانه رجالاً في الشيعة ضبطوا سيرة النبي ومغازيه، منهم:

- ١- ابن إسحاق، محمد بن إسحاق (ت ١٥١ هـ). من أصحاب الإمام الصادق (ص).
 - ٢- عبيد الله بن أبي رافع، وهو من أصحاب الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب (ع) أنه أُلّف في مغازى الإمام على (ع).
 - ٣- جابر الجعفي (ت ١٢٨ هـ).
 - ٤- أبان بن عثمان الأحمر البجلي الكوفي.
 - ٥- أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي الغامدي.
 - ٦- نصر بن مزاحم (٢١٢ هـ).
 - ٧- هشام بن محمد بن السائب الكلبي (المتوفى ٢٠٦ هـ).
- ثاني عشر: قدماء الشيعة وعلم الرجال:
- اهتم علماء الشيعة بعد عصر التابعين بعلم الرجال وأولوه

ص: ٨٠

اهتماماً كبيراً، فبرزت منهم ثلّة كبيرة من سادات هذا العلم. وسنحاول هنا أن نذكر أوائل المؤلفين، منهم: علي بن الحسن بن فضال من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري (ع).

الحسن بن محبوب السّراد (١٥٠-٢٢٤ هـ). من أصحاب الصادق (ع)، أبو عمر الكشي، الشيخ أبو العباس أحمد بن علي النجاشي (٣٧٢-٤٥٠ هـ)، والشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠ هـ)، وتوالى التأليف في علم الرجال كما في قرينه علم الدراية إلى عصرنا هذا، فبلغوا قرابة خمسمائة مؤلف، شكر الله مساعي الجميع.

ثالث عشر: قدماء الشيعة والعلوم العقلية:

إنّ المسلمين سوى قليل منهم صاروا بين مشبه ومعتل، وبذلك استغنوا عن أيّ تعقل وتفكر غير أنّه سبحانه شملت عنايته أُمّية من المسلمين رفضوا التشبيه والتعطيل، وسلكوا طريقاً ثالثاً، وقالوا بأنّه يمكن للإنسان التعرّف على ما وراء الطبيعة بما فيها من الجمال والكمال بلا تشبيه.

ترى ذلك في كلام الإمام علي (ع) بوضوح في أحاديثه وخطبه ورسائله، فإنّ خطب الإمام علي (ع) ورسائله وقصار حكمه كانت هي الحجر الأساس لكلام الشيعة وآرائهم في العقائد والمعارف، ولم يتوقّف نشاط الشيعة في ذلك المجال، فواصل

ص: ٨١

الأئمة من بعده عليهم وعليه السلام- في حياتهم تربية شيعتهم، فشحنوا عقولهم بالدعوة إلى التدبر والتفكر في المعارف حتى تربى في مدرستهم عمالقة الفكر من عصر سيد الساجدين (ع) إلى عصر الإمام العسكري (ع).
و من هؤلاء: زرارة بن أعين ومحمد بن علي بن نعمان بن أبي طريفه البجلي الذي يلقب ب- «مؤمن الطاق» وهشام بن الحكم وقيس الماصر الذي تعلم الكلام من علي بن الحسين (ع) والفضل بن شاذان بن خليل أبو محمد الأزدي النيشابوري وشيخنا المفيد (٣٣٦-٤١٣ هـ).

و بعد أود أن اشير إلى بعض أساتذة الفلسفة:

الشيخ أبو علي بن سينا: (٣٧٠-٤٢٨ هـ). أكبر فيلسوف إسلامي شيعي ظهر في المشرق، وقد ذاع صيته شرقاً وغرباً.

نصير الدين الطوسي (٥٩٧-٦٧٢ هـ).

الشيخ كمال الدين. ميثم بن علي بن ميثم البحراني (٦٣٦-٦٩٩ هـ)، له «قواعد المرام في الكلام».

العلامة الحلّي (٦٤٨-٧٢٦ هـ)، له «الجواهر النضيد» وكشف المرام في شرح تجريد الاعتقاد شيخ الطوسي.

قطب الدين الرازي (ت ٧٦٦ هـ). تلميذ العلامة الحلّي

ص: ٨٢

واستاذ الشهيد الأول

إلى غير ذلك كالفاضل المقداد (ت ٨٠٨ هـ)، والسيد محمد باقر المعروف بالداماد (ت ١٠٤٠ هـ) وتلميذه المعروف بصدر المتألهين مؤلف الأسفار الأربعة (٩٧١-١٠٥٠ هـ) وغيرهم حتى عصرنا الحاضر.

رابع عشر: قدماء الشيعة والعلوم الكونية:

إن بيت آل نوبخت بيت شيعي عريق، فقد قاموا بترجمة الكثير من كتب العلوم والمعرفة من اللغة الفارسية إلى العربية، كما برع منهم من له باع طويل في كثير من العلوم ومنها العلوم الكونية والنجوم.

- أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه: من أعيان الشيعة وأعلام فلاسفتهم، صنف في علوم الأوائل، وله تعليقات في المنطق ومقالات جلية في أقسام الحكمة والرياضة.

- جابر بن حيان (رحمة الله): في علم الكيمياء.

- المحقق الطوسي (رحمة الله): في علم الفلك.

- أحمد بن أبي يعقوب بن واضح: هو أول جغرافي في العرب.

- أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) فقد ألف في التاريخ والجغرافية وتقويم البلدان.

بلدان الشيعة وأماكن تواجدهم

ينتشر الشيعة في جميع أنحاء العالم بنسب مختلفة، وربما تعدّ بعض البلدان معقل الشيعة ومزدهمها حيث يكون المذهب السائد فيها هو مذهب التشيع في حين تتفاوت هذه النسبة في بلدان أخرى. وإليك أسماء بعضها، وهي:

إيران والعراق وسورية والسعودية وتركيا وأفغانستان والباكستان والهند واليمن ومصر والإمارات العربية المتحدة والبحرين والكويت وعمان والتبت والصين وآذربيجان وطاجيكستان وباقي الجمهوريات المتحررة بانحلال الاتحاد السوفيتي، وماليزيا وأندونيسيا وسيلان وتايلند وسنغافورة وشمال أفريقيا والصومال والأرجنتين وبريطانيا وألمانيا وفرنسا وألبانيا والولايات المتحدة وكندا وغيرها من الدول المختلفة التي يضيق المجال بحصرها.

إنّ في هذه الشريعة الغراء من سمات العدل والمساواة ورفض التمييز العنصري والنظام الطبقي وأنّ الناس فيه كأسنان المشط لا فضل لأعجمي على عربي ولا لعربي على أعجمي إلّا بالتقوى، فكان ذلك هو الدافع المهمّ للشعوب للدخول في

ص: ٨٤

الإسلام والانضواء تحت رايته، من غير فرق بين قوم دون قوم وشعب دون شعب. وإنَّ السبب الحقيقي لولائهم وجنوحهم إلى أهل البيت هو أنَّهم شاهدوا أنَّ علياً وأهل بيته خلافاً للخلفاء عامتهم يكافحون فكرة القومية ويطبقون المساواة، فكان ذلك نواة لبذر الولاء في قلوب بعضهم، يرثه الأبناء من الآباء وإن لم يكن الحب يوم ذاك ملازماً للقول بخلافتهم عن الرسول وإمامتهم بعده، بل كان حباً ووداً خالصاً لأسباب نفسية لا قيادية

نسأله سبحانه أن يرفع كلمة التوحيد في ربوع العالم، ويوفّق المسلمين لتوحيد الكلمة ورصّ الصفوف، إنّه على ذلك لقدير.

الفصل الرابع: مع الشيعة الإمامية في عقائدهم

تمهيد:

إن المناهج الكلامية فوّقت المسلمين إلى مذاهب، حدثت في أواخر القرن الأول الهجري، واستمرت في القرون التالية، فنجمت عنها فرق إسلامية مختلفة كالمرجئة والجهمية والمعتزلة والحشوية والأشعرية والكرامية بفرقهم المتشعبة فإن المرء لا يجد لها تاريخاً متصلاً بزمان النبي الأكرم (ص)، فالخوارج مثلاً كانوا فرقة سياسية نشأت في عام (٣٧ هـ). أثناء حرب صفين ثم تبدلت إلى فرقة دينية في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني، والمرجئة ظهرت في الأوساط الإسلامية عند اختلاف

ص: ٨٦

الناس في الخليفة عثمان والإمام علي، ثم تطوّرت إلى معنى آخر، وكان من حصيلة التطوّر هو تقديم الإيمان وتأخير العمل! والجهمية نتيجة أفكار «جهم بن صفوان» المتوفى سنة (١٢٨ هـ).

والمعتزلة تستمد أصولها من واصل بن عطاء تلميذ الحسن البصري المتوفى عام (١٣٠ هـ)، وهكذا القدرية والكرامية والظاهرية والأشعرية، فجميعها فرق نتجت عن البحث الكلامي وصقلها الجدل عبر القرون، فلاتجد لهذه الفرق سنداً متصلًا بالنبي الأكرم (ص)؛ وأما عقائد الشيعة الإمامية فعلى النقيض من ذلك، ولا صلة في نشأتها بينها وبين تلك الفرق؛ لأنها اخذت أساساً من مصادر التشريع الحقيقية للإسلام، وهي: الذكر الحكيم أولاً، والسنة النبوية ثانياً، وخطب الإمام علي (ع) وكلمات العترة الطاهرة (عليهم السلام) الصادرة من النبي الأكرم (ص) ثالثاً. فلأجل ذلك يحدّد تاريخ عقائدهم بتاريخ الإسلام وحياء أئمّتهم الطاهرين. إلّا أنّ الأمر الجدير بالذكر هو أنّ المرتكز الأساسي لبناء العقيدة الخاصّة بالشيعة الإمامية هو الاعتقاد بأنّ الإمام علياً منصوب عليه بالوصاية الخاصة على لسان النبي الأكرم (ص).

ص: ٨٧

وأنته وعترته الطاهرة هم المرجع الأعلى بعد الذكر الحكيم، وهذا هو العنصر المقوم للتشيع. وأما سائر الاصول فإنها عقائد إسلامية لا تختص بالشيعة الإمامية وحدها.

الفرق بين الشيعة الإمامية والمعتزلة

إن المتأمل في مجمل عقائد هاتين الفرقتين يمكنه أن يتبين بوضوح جوانب الاتفاق والاختلاف بينهما: الشفاعة: قالت الإمامية والأشاعرة: إن النبي (ص) يشفع لأهل الكبائر بإسقاط العقاب عنهم أو بإخراجهم من النار؛ وقالت المعتزلة: لا يشفع (ص) إلّا للمطيعين المستحقين للثواب، وتكون نتيجة الشفاعة ترفيع الدرجة. مرتكب الكبيرة: هو عند الإمامية والأشاعرة مؤمن فاسق، وقالت المعتزلة: بل منزلته بين المنزلتين، أي بين الكفر والإيمان. الجنة والنار: قالت الإمامية والأشاعرة: إنهما مخلوقتان الآن بدلالة الشرع على ذلك، وأكثر المعتزلة يذهب إلى أنهما غير موجودتين. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: اتفق المسلمون على

ص: ٨٨

وجوبهما؛ فقالت الإمامية والأشاعرة: يجبان سمعاً، ولولا النص لم يكن دليل على الوجوب، خلافاً للمعتزلة الذين قالوا: بوجوبهما عقلاً. الإحباط: اتفقت الإمامية والأشاعرة على بطلان الإحباط، وقالوا: لكل عمل حسابه الخاص، ولا ترتبط الطاعات بالمعاصي ولا المعاصي بالطاعات، والإحباط يختص بذنوب خافية كالشرك وما يتلوه، بخلاف المعتزلة حيث قالوا: إن المعصية المتأخرة تسقط الثواب المتقدم فمن عبد الله طول عمره ثم كذب فهو كمن لم يعبد الله أبداً!

الشرع والعقل: تشددت المعتزلة في تمسكهم بالعقل، وتشدد أهل الظاهر في تمسكهم بظاهر النص، وخالفهما الإمامية. اتفقت الإمامية والأشاعرة على أن قبول التوبة بفضل من الله، ولا يجب عقلاً إسقاطها للعقاب، وقالت المعتزلة: إن التوبة مسقط للعقاب على وجه الوجوب.

اتفقت الإمامية على أن الأنبياء أفضل من الملائكة، وأجمعت المعتزلة على خلاف ذلك.

اتفقت الإمامية على أن الإنسان غير مسير ولا مفوض إليه، بل هو في ذلك المجال بين الأمرين، بين الجبر والتفويض،

ص: ٨٩

وأجمعت المعتزلة على التفويض.

اتفقت الإمامية والأشاعرة على أنه لا بد في أول التكليف وابتدائه من رسول، وخالفت المعتزلة وزعموا أن العقول تعمل بمجردها عن السمع.

هذه هي الاصول التي خالفت الإمامية فيها المعتزلة، ووافقت فيها الأشاعرة.

الفرق بين الشيعة الإمامية والأشاعرة

هناك اصول خالفت الإمامية فيها الأشاعرة، مخالفة بالدليل والبرهان وتبعاً لأئمتهم. ونذكر المهم منها:

١- اتحاد [عينية] الصفات الذاتية مع الذات: إنَّ لله سبحانه صفات ذاتية كالعلم والقدرة، فهي عند الأشاعرة صفات قديمة مغايرة للذات زائدة عليها، وهي عند الإمامية عين الذات، وعند المعتزلة الذات معطّلة من الصفات والذات نائبة مناب الصفات، بمعنى أنه ليس لها علم ولكن فعلها عن علم وليس لها قدرة ولكن فعلها عن قدرة.

٢- الصفات الخبرية الواردة في الكتاب والسنة، كالوجه والأيدى والاستواء وأمثالها، فالشيعة الإمامية يؤوّلونها تأويلاً مقبولاً، لا تأويلاً مرفوضاً، أي إنَّ معنى: (بَلْ يَدَاهُ

ص: ٩٠

مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ) (١) أنه برىء من البخل، بل هو باذل وسخي وقادر على البذل؛ وأما الأشاعرة وأهل الحديث والحنابلة فهم يفسرونها بالمفهوم التصوري ويقولون: إن الله سبحانه يدين، إلّا أنهم يتهزّبون عن التجسيم والتشبيه بقولهم: بلا كيف أو لا كأيدينا!

٣- أفعال العباد عند الإمامية صادرة من نفس العباد، فالإنسان هو الفاعل لأفعاله بقدره مكتسبه من الله، وإن قدرته المكتسبة هي المؤثرة بإذن من الله سبحانه.

و أما الأشاعرة فذهبوا إلى أن أفعال العباد مخلوقة لله سبحانه، فليس للإنسان فيها صنع ولا دور وليس لقدرته أى تأثير فى تحقيق الفعل، وأقصى ما عندهم أن إرادة الإنسان للعقل تقارن إيجاد الله سبحانه فعله فى عالم التكوين والوجود، فقالوا: «إن الله هو الخالق، والإنسان هو الكاسب» إلّا أنها نظرية غريبة غير مفهومة وملبئة بالألغاز التى عجز عن فهمها وإيضاحها حتى مبتدعوها أنفسهم!

٤- إن الاستطاعة فى الإنسان على فعل من الأفعال تقارنه تارة وتتقدم عليه أخرى، فلو أريد من القدرة: العلة التامة فهى

ص: ٩١

مقارنهُ، ولو أريد العلة الناقصة فهي متقدّمة، خلافاً للأشاعرة فقد قالوا بالتقارن مطلقاً.

٥- رؤية الله بالأبصار في الآخرة: فهي مستحيلة عند الإمامية والمعتزلة، ممكنة عند الأشاعرة.

٦- كلامه سبحانه عند الإمامية هو فعله، فهو حادث لا قديم، وهذا خلافاً للأشاعرة: فكلامه عبارة عن الكلام النفسى القائم بذاته، فهو قديم كقدم الذات.

٧- التحسين والتقييح العقليان: ذهبت الإمامية إلى أنّ العقل يدرك حسن بعض الأفعال أو قبحها، بمعنى أنّ نفس الفعل من أى فاعل صدر، سواء أكان الفاعل قديماً أو حادثاً، واجباً أو ممكناً، يتّصف بأحدهما ويتلقاه حكماً مطلقاً سائداً على مرّ الحقب والأزمان، لا يغيّره شيء؛ وهذا خلافاً للأشاعرة، فقد عزلوا العقل عن إدراك الحسن والقبيح، وبذلك خالفوا الإمامية والمعتزلة في الفروع المترتبة عليه.

هذا، وإنّ الشيعة وإن خالفوا في هذه الاصول طائفة من الطوائف الإسلامية ووافقوا طوائف أخرى، ولكن هناك اصول اتّفق الجميع فيها دون استثناء، أفما آن للمسلمين أن يتحدوا في ظلّ هذه الاصول المؤلّفة لقلوبهم، ويستظلّوا بظلالها ويتمسّكوا

ص: ٩٢

بالعروة الوثقى، ولا يصغوا إلى النعرات المفترقة المفترية على الشيعة وأئمتهم؟!

الفرق بين الشيعة الإمامية وسائر الفرق

إذا تعرّفت على الفوارق الموجودة بين الشيعة وبعض طوائف المسلمين؛ فهلّم معي إلى الفوارق الجوهرية بينهم وبين سائر الطوائف التي صيرتهم إلى الفرقتين متميزتين وأكثرها يرجع إلى مسألة القيادة والخلافة بعد الرسول الأكرم (ص)، فنأخذ بالبحث عنها على وجه الإجمال.

المسألة الأولى: «وجوب تنصيب الإمام على الله سبحانه»

تتفق جميع الفرق الإسلامية على أصل وجوب نصب الإمام سوى العجاردة من الخوارج ومنهم حاتم الأصم أحد شيوخ المعتزلة (ت ٢٣٧ هـ).

فالشيعة يذهبون إلى وجوبه على الله تعالى، وباقي الفرق على الأمة!

وليس المراد من وجوبه على الله سبحانه هو إصدار الحكم من العباد على الله سبحانه حتى يقال (إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ) (١)، بل

ص: ٩٣

المراد كما ذكرنا غير مرّة: أنّ العقل - حسب التعرّف على صفاته سبحانه، من كونه حكيمًا غير عابث - يكشف عن كون مقتضى الحكمة هو لزوم النصب، فالعباد أقصر من أن يكونوا حاكمين على الله سبحانه.

ثم إنّ اختلاف المسلمين في كون النصب فرضاً على الله أو على الأئمة ينجم عن اختلافهم في حقيقة الخلافة والإمامة عن رسول الله (ص)، فمن ينظر إلى الإمام بوصفه رئيس دولة ليس له وظيفة إلّا تأمين الطرق والسبل وتوفير الأرزاق وإجراء الحدود والجهاد في سبيل الله إلى غير ذلك ممّا يقوم به رؤساء الدول بأشكالها المختلفة، فقد قال بوجوب نصبه على الأئمة، إذ لا يشترط فيه من الموصفات إلّا الكفاءة والمقدرة على تدبير الأمور، وهذا ما يمكن أن تقوم به الأمة الإسلامية.

و أمّا على القول بأنّ الإمامة استمرار لوظائف الرسالة، فمن المتفق عليه أنّ تعهد هذا الأمر يتوقف على توفرّ صلاحيات عالية لا ينالها الفرد إلّا إذا حظى بعناية إلهية خاصّة، فيخلف النبي في علمه بالاصول والفروع وفي سدّ جميع الفراغات الحاصلة بموته، ومن المعلوم أنّ هذا الأمر لا تعرّف عليه الأمة إلّا عن طريق الرسول، ولا يتوفّر وجوده إلّا بتربية غيبية

ص: ٩٤

وعناية سماوية خاصة. وهكذا فمن جعلها سياسة زمنية وقتية يشغلها فرد من الأمة بأحد الطرق قال في حقه: «بأن الإمام بعد الرسول أشبه برئيس الدولة أو أحد الحكام وتنتخبه الأمة الإسلامية ... ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاءة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننتزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله فريضه ما لم يؤمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافة؛ والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين برّهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، ولا يبطلهما شيء ولا ينقضهما (١)»

وقد استدلت الإمامية على وجوب نصب الإمام على الله سبحانه بأن: وجود الإمام الذي اختاره الله سبحانه مقرب من الطاعات ومبعد عن المعاصي. ثم إنك قد تعرّفت على أن الرسول الأكرم (ص) - وبوحي من الله سبحانه - قام بنصب إماماً للأمة ليقود أمرهم ويسد جميع الفراغات الحاصلة بلحقه بالرفيق الأعلى وبذلك حسم مادة النزاع وقطع الطريق على المشاغبيين، ولكنه - وللأسف - تناست الأمة وصية الرسول (ص) وأمره.

ص: ٩٥

المسألة الثانية: «عصمة الإمام»

إشارة

تفردت الإمامية من بين الفرق الإسلامية بإيجابها عصمة الإمام من الذنب والخطأ، مع اتفاق غيرهم على عدمها.

حقيقة العصمة

العصمة قوة تمنع صاحبها من الوقوع في المعصية والخطأ، حيث لا يترك واجباً ولا يفعل محرماً، مع قدرته على الترك والفعل، وإلا لم يستحق مدحاً ولا ثواباً. وإن شئت قال: إن المعصوم قد بلغ من التقوى حداً لا تتغلب عليه الشهوات والأهواء وبلغ من العلم في الشريعة وأحكامها مرتبة لا يخطأ معها أبداً.

و ليست العصمة فكرة ابتدعتها الشيعة، وإنما دلّهم عليها في حقّ العترة الطاهرة كتاب الله وسنّة رسوله، قال سبحانه: ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (١)، وليس المراد من الرّجس إلّا الرّجس المعنوي، وأظهره هو الفسق.

ص: ٩٦

و قال رسول الله (ص):

«على مع الحقّ والحقّ مع على يدور معه كيفما دار»
 و من دار معه الحقّ كيفما دار محال أن يعصى أو أن يخطأ؛ وقوله في حقّ العترة،
 «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا أبداً»
 ، فإذا كانت العترة عدل القرآن والقرآن هو كلام الله تعالى، فمن المنطقي أن تكون معصومه حتى لا يخالف أحدهما الآخر.

«الدليل على لزوم عصمة الإمام بعد النبي (ص)»

يمكن الاستدلال على لزوم العصمة في الإمام بوجوه متعدّدة نورد أهمّها:

الوجه الأوّل: إنّ الإمامة إذا كانت استمراراً لوظيفة النبوة والرسالة وكان الإمام يملأ جميع الفراغات الحاصلة جرّاء رحله النبي الأكرم (ص) فلا مناص من لزوم عصمته؛ وذلك لأنّ الغاية هي هداية الأُمّة إلى الطريق المهيّج، ولا يحصل ذلك إلّا بالوثوق بقوله والاطمئنان بصحّة كلامه، فإذا جاز على الإمام الخطأ والنسيان والمعصية والخلاف ضعفت ثقة الناس به، فتنتفى الغاية من نصبه.

الوجه الثاني: قوله سبحانه: (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ

ص: ٩٧

وأولى الأمر منكم (١) والاستدلال مبنى على دعامتين:

- ١- إن الله سبحانه أمر بطاعة أولى الأمر على وجه الإطلاق، ولم يقيد وجوب امتثال أوامرهم ونواهيهم بشيء.
 - ٢- إن من البديهي كونه سبحانه لا يرضى لعباده الكفر والعصيان. (٢) من غير فرق بين أن يقوم به العباد ابتداءً من دون تدخل أمر آمر ونهي ناهٍ أو يقدمون عليه بعد صدور أمر ونهي من أولى الأمر.
- فستكشف من إطلاق الأمر بالطاعة اشتغال المتعلق على خصوصية تصدّه عن الأمر بغير الطاعة، وممن صرح بدلالة الآية على العصمة الإمام الرازي في تفسيره! (٣) الوجه الثالث: قوله سبحانه: (وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ). (٤) والاستدلال بالآية على عصمة الإمام يتوقف على تحديد مفهوم الإمامة الواردة في الآية وأن المقصود منها غير النبوة والرسالة؛ لأن إبراهيم كان نبياً ورسولاً وقائماً

١- نساء: ٥٩.

٢- زمر: ٧.

٣- مفاتيح الغيب: ١٠ / ١٤٤.

٤- بقره: ١٢٤.

ص: ٩٨

بوظائفهما طيلة سنين حتى خوطب بهذه الآية، فالمراد من الإمامة في المقام هو منصب القيادة وتنفيذ الشريعة في المجتمع بقوة وقدره. وحكومه إلهية يبلغ المجتمع بها إلى السعادة.

ما هو المراد من الظالم؟

أن الإمامة منصب إلهي لا يناله الظالمون؛ لأنَّ الإمام هو المطاع بين الناس المتصرّف في الأموال والنفوس، فيجب أن يكون على الصراط السوي، والظالم المتجاوز عن الحد لا يصلح لهذا المنصب؛ كما أنَّ الظالم الناكث لعهد الله والناقض لقوانينه وحدوده على شفا جرف هار لا يؤتمن عليه ولا تلقى إليه مقاليد الخلافة؛ لأنَّه على مقربة من الخيانة والتعدي وعلى استعداد لأن يقع أداة للجائرين. إنَّ المتلبس بالظلم - ولو آناً ما - يسلب عن الإنسان صلاحية الإمامة وإن تاب من ذنبه؛ فإنَّ الناس بالنسبة إلى الظلم على أقسام أربعة:

- ١- من كان طيلة عمره ظالماً.
- ٢- من كان طاهراً ونقيّاً في جميع فترات عمره.
- ٣- من كان ظالماً في بداية عمره وتائباً في آخره.
- ٤- من كان طاهراً في بداية عمره وظالماً في آخره.

ص: ٩٩

إنَّ من غير المعقول والبديهي أن يسأل خليل الله تعالى الإمامة لأصحاب القسمين الأوّل والرابع من ذرّيته، لوضوح أنّ الغارق في الظلم من بداية عمره إلى آخره أو المتّصف به أيام تصدّيه للإمامة لا يصلح أن يؤتمن عليها. ولما كان الله تعالى قد نفى امتلاك الإمامة من قبل الظالم مطلقاً حتى لو كان الظالم فيما سبق وهو القسم الثالث، فلا مناص من الجزم بتعلّقها بالقسم الثاني وحده دون باقى الأقسام.

العصمة في القول والرأي

إنّ الأئمة معصومون عن العصيان والمخالفة أوّلاً وعن الخطأ والزلة في القول ثانياً، وما ذلك إلّا لأنّ كلّ إمام من الأوّل إلى الثاني عشر قد أحاط إحاطة شاملة كاملة بكلّ ما في هذين الأصلين، بحيث لا يشدّ عن علمهم معنى آية من آى الذكر الحكيم تنزيلاً وتأويلاً، ولا شيء من سنّة رسول الله (ص) قولاً وفعلًا وتقريراً، وكفى بمن أحاط بعلوم الكتاب والسنة فضلاً وعلماً وقد أخذ أهل البيت (عليهم السلام) علوم الكتاب والسنة وفهموها عن رسول الله (ص) تماماً كما أخذها ووعاها رسول الله (ص) عن جبرئيل وكما وعاها جبرئيل عن الله، ولا فرق أبداً في شيء إلّا بالواسطة، ومنهم انتقلت هذه العلوم إلى الآخرين.

ص: ١٠٠

المسألة الثالثة: «الإمام المنتظر»

إنّ جميع المسلمين يتفقون أساساً على فكرة قيام المهدي وما سيعمّ الأرض في عهده من العدل والأمن والخير العميم وإن كان هناك اختلاف ما يذكر في مضمون هذا الأمر العظيم؛ فإنّ الأكثرية من أهل السّنة يقولون بأنّه سيولد في آخر الزمان، وأمّا الشيعة ولاستنادهم على جملة واسعة من الروايات والأدلة الصحيحة يذهبون إلى أنّه ولد في «سرّ من رأى» عام ٢٥٥ هـ. وهو يحيى حياةً طبيعية كسائر الناس غير أنّ الناس يرونه ولا يعرفونه، وسوف يظهره الله سبحانه ليحقّ عدله. (١)

المسألة الرابعة: التقيّة**إشارة**

«مفهومها، غايتها، دليلها، حدّها في ضوء الكتاب والسّنة»

التقيّة، اسم لـ «أتقى؛ يتقى» والتاء بدل من الواو، وأصله من «الوقاية»، ومن ذلك إطلاق التقوى على إطاعة الله، لأنّ المطيع يتّخذها وقاية من النّار والعذاب، والمراد هو التحفّظ عن ضرر الغير بموافقته في قول أو فعل، مخالف للحقّ، وهو إظهار الكفر وإبطان الإيمان أو التظاهر بالباطل وإخفاء الحقّ، فهي تقابل

١- نور: ٥٥، الأنبياء: ١٠٥ وقصص: ٥.

ص: ١٠١

النفاق؛ فإنَّ النفاق عبارة عن إظهار الإيمان وإبطان الكفر والتظاهر بالحق وإخفاء الباطل.

«غايته»

الغاية من التقيّة: هي صيانة النفس والعرض والمال؛ وذلك في ظروف قاهرة لا يستطيع فيها المؤمن أن يعلن عن موقفه الحقّ صريحاً خوفاً من أن يترتب على ذلك مضارّ وتهلكة من قوى ظالمة غاشمة، كلجوء الحكومات الظالمة إلى الإرهاب والتشريد والنفى والقتل والتنكيل ومصادرة الأموال وسلب الحقوق الحقّة، فلا يكون لصاحب العقيدة الذي يرى نفسه محقّقاً محيصاً عن إبطانها إلى أن يحدث الله بعد ذلك أمراً، كما كان عليه مؤمن آل فرعون الذي حكاه سبحانه في الذكر الحكيم. (١) فإذا كان هذا معنى التقيّة ومفهومها وكانت هذه غايتها وهدفها، فهو أمر فطري يسوق الإنسان إليه قبل كلّ شيءٍ عقله ولبّه، وتدعوه إليه فطرته؛ ولأجل دعم هذا الأصل الحيوي ندرس دليله من القرآن والسنة.

١- قصص: ٢٠.

ص: ١٠٢

«دليلها في القرآن والسنة»

... الآية الاولى: (مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صِرَافاً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) (١) ترى أنه سبحانه بجواز إظهار الكفر كرهاً ومجاراةً للكافرين خوفاً منهم بشرط أن يكون القلب مطمئناً بالإيمان، قال الطبرسي (رحمة الله): قد نزلت الآية في جماعة اكرهوا على الكفر وهم عمار وأبوه ياسر وأمه سمية.

الآية الثانية: قال سبحانه: (لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ... إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ) (٢)، وكلمات المفسرين حول الآية تغنينا عن أي توضيح. قال الزمخشري: رخص لهم في موالاتهم إذا خافوهم، والمراد بتلك الموالات: مخالفة ومعاشره ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع.

الآية الثالثة: قال تعالى: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ... فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ

١- نحل: ١٠٦.

٢- آل عمران: ٢٨.

ص: ١٠٣

سوء العذاب (١) وما كان ذلك إلّا لأنّه بتقيته استطاع أن ينجى نبي الله من الموت.

«الظروف العصيبة التي مرّت بها الشيعة»

إشارة

الَّذِي دفع بالشيعة إلى التقيّة بين إخوانهم وأبناء دينهم إنّما هو الخوف من السلطات الغاشمة؛ فلو لم يكن هناك في غابر القرون - من عصر الأمويين ثمّ العباسيين والعثمانيين أيّ ضغط على الشيعة، ولم تكن بلادهم وعقر دارهم مخضبة بدمائهم والتاريخ خير شاهد على ذلك، فهل من المعقول أن تنسى الشيعة كلمة التقيّة وأن تحذفها من ديوان حياتها ولكن يالأسف!

قال العلامة الشهرستاني: إنّ التقيّة شعار كلّ ضعيف مسلوب الحرّيّة، إنّ الشيعة قد اشتهرت بالتقيّة أكثر من غيرها، لأنّها منيت باستمرار الضغط عليها أكثر من أيّة أمّة أخرى ... ولأجله استشعروا بشعار التقيّة أكثر من أيّ قوم؛ ... متبعه في ذلك سيرة الأئمّة من آل محمد (عليهم السلام) وأحكامهم الصارمة حول وجوب التقيّة من قبيل: ما روى عن صادق آل البيت (عليهم السلام) في الأثر الصحيح: «التقيّة ديني ودين آبائي» و «من لا تقيّة له لا دين له».

ص: ١٠٤

حَدِّ التَّقِيَّةِ

إِنَّ مجال التَّقِيَّةِ إِنَّمَا هو في حدود القضايا الشخصية الجزئية عند وجود خوف على النفس والنفس، وأما الأمور الكلية الخارجة عن إطار الخوف فلا تتصوّر فيها التَّقِيَّةُ.
والحاصل: أَنَّ الشيعةَ إِنَّمَا كانت تَتَّقِي في عصر لم تكن لهم دولةٌ تحميهم ولا قدرةٌ ولا منعةٌ تدفع عنهم الأخطار، وأما هذه الأعصار فلا مسوِّغ ولا مبرّر للتَّقِيَّةِ إلّا في موارد خاصّة؛ إذ أَنَّ الشيعةَ لم تلجأ إلى التَّقِيَّةِ إلّا بعد أن اضطرّت إلى ذلك.

«التَّقِيَّةُ المحرّمة»

إِنَّ التَّقِيَّةَ تنقسم حسب الأحكام الخمسة، فكما أنّها تجب لحفظ النفوس والأعراض والأموال، فإنّها تحرم إذا ترتّب عليها مفسدةٌ أعظم كهدم الدين وخفاء الحقيقة على الأجيال الآتية وتسلب الأعداء على شؤون المسلمين وحرمانهم ومقدّساتهم؛ فالتَّقِيَّةُ أمام الحاكم الجائر كيزيد بن معاوية مثلاً محرّمة، إذ فيها الذلّ والهوان ونسيان المثل والرجوع إلى الوراء، فليست التَّقِيَّةُ في جوازها ومنعها تابعة للقوّة والضعف، وإنّما تحدّد جوازاً ومنعاً مصالح الإسلام والمسلمين.

ص: ١٠٥

و من هذا الباب ما إذا كان المتقى ممن له شأن وأهميه في نظر الخلق، بحيث يكون ارتكابه لبعض المحرمات تقيّة أو تركه لبعض الواجبات كذلك ممّا يعدّ موهناً للمذهب وهاتكاً لحرمة؛ فإنّ التقيّة في مثلها غير جائزة، ضرورة أنّ تشريعها لبقاء المذهب وحفظ الأصول وجمع شتات المسلمين لإقامة الدين وأصوله، فإذا بلغ الأمر إلى هدمها فلا تجوز التقيّة، وهي فيما إذا كان الخوف قائماً، وأمّا إذا ارتفع الخوف والضغط فلا موضع للتقيّة لغاية الصيانة.

نحن ندعو المسلمين للتأمل في الدواعي التي دفعت بالشيعة إلى التقيّة، وأن يعلموا قدر الإمكان على فسح المجال لإخوانهم في الدين، فإنّ لكلّ فقيه مسلم رأيه ونظره وجهده وطاقته. إنّ الشيعة يقتفون أثر أئمّة أهل البيت في العقيدة والشرعة ويرون رأيهم؛ لأنّهم هم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأحد الثقلين اللّذين أمر الرسول بالتمسّك بهما في مجال العقيدة والشرعة، وهما حجة على الجميع!

المسألة الخامسة: «البداء عند الشيعة الإمامية»

إشارة

لتوضيح حقيقة البداء تأتي بمقدّمات:

المقدمة الأولى: اتّفقت الشيعة على أنه سبحانه عالم بالحوادث

ص: ١٠٦

كلّها غابرها وحاضرها ومستقبلها، لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فلا يتصوّر فيه الظهور بعد الخفاء ولا العلم بعد الجهل، ويدلّ عليه الكتاب والسنة، مضافاً إلى البراهين الفلسفية المقرّرة في محلّها:

أمّا من الكتاب: قوله سبحانه: (ما أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ).

(١) و أمّا الأخبار: قال الإمام موسى الكاظم (ع): لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء.

و أمّا العقل: فقد دلّ على امتناع البداء عليه بمعنى الظهور بعد الخفاء؛ لاستلزامه كون ذاته محلاً للتغيّر والتبدّل المستلزم للتركيب والحدوث إلى غير ذلك ممّا يستحيل عليه سبحانه.

المقدمة الثانية: كما دلّت الآيات والأحاديث على أنّه سبحانه لم يفرغ من أمر الخلق والإيجاد والتدبير والتربية، دلّت على أنّ مصير العباد يتغيّر بحسن أفعالهم وصلاح أعمالهم، من الصدقة والإحسان وصلّة الأرحام وبرّ الوالدين من الأمور التي تغيّر

ص: ١٠٧

المصير وتبدل القضاء، كما أنّ المحرّم الأعمال وسيئها من قبيل البخل والتقصير وسوء الخلق وقطيعة رحم تأثيراً في تغيير مصيرهم. فليس للإنسان مصير واحد ومقدّر فارد، يصيبه على وجه القطع والبتّ، ويناله شاء أو لم يشأ. وهذا ممّا لا يمكن لمن له أدنى علاقة بالكتاب والسنة.

البداء في مقام الثبوت

إنّ حقيقة البداء أنّه سبحانه - على خلاف ما اعتقده اليهود والنصارى في حقه (١) - يداه مبسوطتان (في كلّ شيء) يمحو ويثبت حسب مشيئته الحكيمه وإرادته النافذة، ومن شعب هذا الأمر هو أنّه سبحانه: يزيد في الرزق والعمر وينقص منهما (٢) وينزل الرحمة والبركة كما ينزل البلاء والنقمة، ولا تصدر عنه الأمور جزافاً واعتباطاً، بل حسب ما تقتضيها حال العباد من حسن الأفعال وقبحها وصالح الأعمال وطالحها؛ فربما يكون الإنسان مكتوباً في الأشتياء، ثم يُمحى فيكتب في السعداء أو على العكس بسبب ما يقوم به من أعمال؛ وبناء على ذلك

١- مائده: ٦٤.

٢- فاطر: ١ و ١١، النحل: ١١٢، الأعراف: ٩٦، الطلاق: ٣.

ص: ١٠٨

فالبداء بهذا المعنى ممّا يشترك فيه كلّ المسلمين، على مذاهبهم المختلفة، من دون اختصاص بالشيعة. هذا الأصل يستفاد بوضوح من قوله سبحانه: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ عِنْدَهُ أُمَّ الْكِتَابِ) (١) وأنه ليس كلّ تقدير حتمياً لا يغيّر ولا يبدّل وأنّ الله سبحانه لو حين: لوح المحو والإثبات ولوح «أُمّ الكتاب»، والذي لا يتطرق التغير إليه هو الثاني دون الأول، وأنّ القول بسيادة القدر على اختيار الإنسان في مجال الطاعة والمعصية قول بالجبر الباطل بالعقل والضرورة ومحكمات الكتاب، فكما أنّه سبحانه يدها مبسوطتان، كذلك العبد مختار في أفعاله لا مسير وحرّ في تصرّفاتة لا مجبور، له أن يغيّر مسيره ومقدّره، فالله سبحانه كما يمحو ويثبت في التكوين فيحيى ويميت، كذلك يمحو مصير العبد ويغيّره حسب ما يغيّر العبد بنفسه (فعله وعمله)؛ لقوله سبحانه: (إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَتْ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) (٢) وليس في ذلك أيّ محذور ولا مخالفة لعقل ولا الكتاب والسنة، بل تغيير القضاء بحسن الفعل وتغيير القدر بسوئه، هو أيضاً من قدره وقضائه وسننه التي لا تبدل لها ولا تغيير.

١- الرعد: ٣٩.

٢- همان: ١١.

ص: ١٠٩

الأثر التربوي للإعتقاد في البداء:

الاعتقاد بالمحو والإثبات وأنَّ العبد قادر على تغيير مصيره بأفعاله وأعماله، يبعث الرجاء في قلب من يريد أن يتطهر وينمي نواه الخير الكامنة في نفسه، فتشريع البداء مثل تشريع قبول التوبة والشفاعة وتكفير الصغائر بالاجتناب عن الكبائر كلها لأجل بعث الرجاء وإيقاد نوره في قلوب العصاة والعتاة حتى لا يأسوا من روح الله. فجميع هذا من باب الرحمة الإلهية لأجل بثَّ الأمل في قلب الإنسان؛ وعلى هذا فالاعتقاد بذلك من ضروريات الكتاب وصريح آياته وأخبار الهداية.

«البداء في مقام الإثبات»

لقد أشار سبحانه إلى لوح المحو والإثبات بقوله: (يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ) (١)، فالأحكام الثابتة فيه أحكام معلقة على وجود شرطها أو عدم مانعها، فالتغير فيها لأجل إعواز شرطها أو لوجود مانعها، فمثلاً يمكن أن يكتب فيه الموت نظراً إلى مقتضياته في الوقت المعين المتصل بالمقتضيات،

ص: ١١٠

إِلَّا أَنَّهُ رَبِّمَا يُمَحْيِي وَيُؤْجِلُ وَيَكْتَبُ بَدْلَهُ تَوْفَرُ الصَّحَّةُ لِفَقْدَانِ شَرْطِ التَّقْدِيرِ الْأَوَّلِ أَوْ طَرَوْ مَانِعٌ مِنْ تَأْثِيرِ الْمُقْتَضَى. إِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ: أَنَّهُ رَبِّمَا يَتَّصِلُ النَّبِيُّ أَوْ الْوَلِيُّ بِلَوْحِ الْمَحْوِ وَالْإِثْبَاتِ فَيَقِفُ عَلَى الْمُقْتَضَى مِنْ دُونِ أَنْ يَقِفَ عَلَى شَرْطِهِ وَمَانِعِهِ، فَيَخْبِرُ عَنْ وَقُوعِ شَيْءٍ مَا، وَلَكِنَّهُ رَبِّمَا لَا يَتَحَقَّقُ لِأَجْلِ عَدَمِ تَحَقُّقِ شَرْطِهِ أَوْ عَدَمِ تَحَقُّقِهِ لَوْجُودِ مَانِعِهِ، وَذَلِكَ هُوَ الْبَدَاءُ فِي عَالَمِ الْإِثْبَاتِ.

«تلميحات للبداء في الذكر الحكيم»

إشارة

- ١- قال سبحانه: (قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) (١) وقوله: (وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ) (٢).
- ٢- قوله سبحانه: (فَلَوْ لَا كَانَتْ قُوَّةُ أَمْنٍ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غِيَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ) (٣) قوله سبحانه: (وَإِذْ نَادَى مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَثَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتَمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) (٤).

١- الصافات: ١٠١.

٢- يونس: ١٠٧.

٣- يونس: ٩٨.

٤- اعراف: ١٤٢.

ص: ١١١

هذه جملة الأخبار التي تحدّث بها الذكر الحكيم عن أحداث ووقائع كان النبيون قد أخبروا بحتمية وقوعها على حدّ علمهم، إلّا أنّها لم تتحقّق، وعندها لامناص من تفسيرها بوقوف أنبياء الله تعالى على المقتضى دون العلّة الثّامّة؛ فعندما يظهر عدم التّحقّق يطلق عليه البداء، والمراد به أنّه بدا من الله لنبيه وللناس ما خفى عليهم، على غرار قوله سبحانه: (وَيَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) (١)، فالبداء إذا نسب إلى الله سبحانه فهو بدا منه، وإذا نسب إلى الناس فهو بدا لهم؛ وبعبارة أخرى: البداء من الله هو إظهار ما خفى على الناس، والبداء من الناس بمعنى ظهور ما خفى لهم، وهذا هو الحقّ الصّراح الذي لا يرتاب فيه أحد.

تتمه البحث

الأمر الأول

و بالجملة يجب أن يكون وقوع البداء مقروناً بما يدلّ على صحّة إخبار النبي (ص)، ولا يكون البداء على وجه يعدّ دليلاً على كذبه، ففي هذه الموارد دلّت القرائن على أنّ المخبر كان صادقاً في خبره.

١- زمر: ٤٧.

ص: ١١٢

الأمر الثاني:

إنَّ البداء لا يتحقق فيما يتعلّق بنظام النبوة والولاية والخاتمية والملاحم الغيبية التي تعدّ شعاراً للشريعة؛ لأنَّ احتمال البداء فيه ناقض للحكمة وموجب لظلال العباد. وهذا ما يستحيل على الله سبحانه؛ وأنما مصبّ البداء هو القضايا الجزئية أو الشخصية، كما هو الحال في الأخبار الماضية.

المسألة السادسة: «الرجعة في الكتاب والسنة»

إنَّ فكرة الرجعة ممّا يشنّع بها على الشيعة غير أنَّ هؤلاء نسوا أو تناسوا أنَّ الرجعة بمعنى عود جماعة قليلة إلى الحياة الدنيوية قبل يوم القيامة ثمّ موتهم وحشرهم مجدداً يوم القيامة ليس شيئاً يضادّ أصول الدين، وليس فيه إنكار لأئمة حكم ضروري، وليس القول برجعتهم إلى الدنيا يلغى بعثهم يوم القيامة، وكيف لا يكون كذلك، وقد أخبر سبحانه عن رجوع جماعة إلى الحياة الدنيوية؟! نظير:

١- إحياء جماعة من بنى إسرائيل. (١) ٢- إحياء قتيل بنى إسرائيل. (٢)

١- بقره: ٥٥-٥٦.

٢- بقره: ٧٢-٧٣.

ص: ١١٣

٣- موت أُلوف من النَّاس وبعثهم من جديد. (١) ٤- بعث عزيز بعد مئة عام من موته. (٢) ٥- إحياء الموتى على يد عيسى (ع). (٣) إنَّ الإعتقاد بالذكر الحكيم يجزنا إلى القول بأنَّه ليس كلَّ رجوع إلى الدنيا تناسخاً، وإنَّما التناسخ الباطل عبارة عن رجوع الإنسان إلى الدنيا عن طريق النطفة والمرور بمراحل التكوّن البشري من جديد ليصير إنساناً مرّةً أخرى.

اتَّفقت الشيعة على بطلان التناسخ وامتناعه غير أنَّ الرجوع إلى الدنيا من خلال دخول الروح إلى البدن الذي فارقه عند الموت لا يعدّ تناسخاً، وإنَّما هو إحياء للموتى الذي كان معجزه من معاجز المسيح (ع)، وهو أمر ممكن وأنَّ بعض الآيات والروايات تدلُّ على أنَّه سيُحقَّق، قال سبحانه: (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ* وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِّمَّنْ

١- همان: ٢٤٣.

٢- همان: ٢٥٩.

٣- آل عمران: ٤٩.

ص: ١١٤

يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ (١) لا يشكك من أمعن النظر في سياق الآيات وما ذكره المفسِّرون حولها في أنَّ الآية الأولى تتعلّق بالحوادث التي تقع قبل يوم القيامة، وعليه تكون الآية الثانية مكملّة لها وتدّل على حشر فوج من كلّ جماعة قبل يوم القيامة، والحال أنَّ الحشر في يوم القيامة يتعلّق بالجميع لا بالبعض.

يقول سبحانه: (وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا) (٢) وهذه الآيات تعرب عن الرجعة التي تعتقد بها الشيعة في حقّ جماعة خاصّة، وأمّا خصوصياتها فلم يحدث عنها القرآن الكريم، وجاء التفصيل في السنة.

المسألة السابعة: زواج المتعة

هو عبارة عن تزويج المرأة الحرّة الكاملة نفسها إذا لم يكن بينها وبين الزوج مانع من نسب أو سبب أو رضاع أو إحصان أو عدّة أو غير ذلك من الموانع الشرعية بمهر مسمّى إلى أجل مسمّى بالرضا والاتفاق؛ فإذا انتهى الأجل تبين منه من غير

١- نمل: ٨٢-٨٣.

٢- كهف: ٤٧.

ص: ١١٥

طلاق، ويجب عليها مع الدخول بها إذا لم تكن يائسة أن تعتدّ عدّة الطلاق إذا كانت ممّن تحيض، وإلّا فخمسة وأربعين يوماً. ... وقد أجمع أهل القبلة على أنّه سبحانه شرّع هذا النكاح في صدر الإسلام، ولم يشك أحد في أصل مشروعيته (١). وقد صحّ عن عمران بن الحصين أنّه قال «إنّ الله أنزل المتعة وما نسخها بآية أخرى وأمرنا رسول الله (ص) بالمتعة وما نهانا عنها، ثم قال رجل برأيه» يريد به عمر بن الخطاب (٢).

إنّ الخليفة الثاني لم يدع النسخ، وإنّما أسند التحريف إلى نفسه، ولو كان هناك ناسخ من الله عزّ وجلّ أو من رسوله لأسند التحريم إليهما، وقد استفاض قول عمر وهو على المنبر: «متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) وأنا أنهى عنهما واعاقب عليهما متعة الحج ومتعة النساء. ... وحى على خير العمل.» وهو في حدّ ذاته يعتبر اجتهاداً قبالة النصّ الواضح! ومن المعلوم أنّ اجتهاده - لو صحّت تسميته بالاجتهاد - حجّة على نفسه لا على غيره، على أنّ الأمر الذي ينبغي الالتفات إليه وإدراكه بوضوح: أنّ الشيعة ورغم إدراكهم وإيمانهم بحليّة زواج المتعة

١- نساء: ٢٣-٢٤.

٢- صحيح البخاري: ٢٧/٦.

ص: ١١٦

وعدم تحريره- وهو ما يعلنون عنه صراحةً ودون تردد- إلّا أنّهم عملياً لا يلجأون إلى هذا الزواج إلّا في حدود ضيقه وخاصّة، وليس كما يصوّره ويتصوّره البعض من كونه ظاهرة متفشية في مجتمعهم وبشكل مستهجن ممجوج.

المسألة الثامنة: متعة الحجّ

قوله سبحانه: (فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ وَاثَّقُوا اللَّهَ وَاغْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) (١) صريح في جواز التمتع بمحظورات الإحرام بعد الإتيان بأعمال العمرة وقبل التوجه إلى الحجّ، ولم يدع أحد كونها منسوخة بآيه أو قول أو فعل، بل أكّد النبي الأكرم (ص) تشريعه بعمله في العام العاشر من الهجرة. هذا هو الذكر الحكيم المدعم بالسنة وإجماع الأئمة، ومع ذلك نرى أنّ بعض الصحابة لا يروقه متعة الحجّ لا في عصر الرسالة ولا بعده، بل يفتى بتحريمها! وهذا هو الخليفة الثاني ومن لفّ لفّه الذين كانوا يقدّمون الآراء المزعومة على النصوص الشرعية مهما تضافرت وتواترت!

المسألة التاسعة: مسح الأرجل في الوضوء

اختلف المسلمون في غسل الرجلين ومسحهما، فذهب الأئمة الأربعة إلى أنّ الواجب هو الغسل وحده، وقالت الشيعة الإمامية: إنّهُ المسح، وقال داود بن علي والناصر للحقّ من الزيدية: يجب الجمع بينهما، وهو صريح الطبري في تفسيره، ونقل عن الحسن البصري: أنّه مخير بينهما!

و مما يثير العجب اختلاف المسلمين في هذه المسألة، مع أنّهم رأوا وضوء رسول الله (ص) كلّ يوم وليله في موطنه ومهجره وفي حضره وسفّره، ومع ذلك اختلفوا في أشدّ المسائل ابتلاءً، وهذا يعرب عن أنّ الاجتهاد لعب في هذا المسألة دوراً عظيماً، فجعل أوضح المسائل أبهمها.

إنّ القول بالمسح هو المنصوص عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وهم يسندون المسح إلى النبي الأكرم (ص) ويحكمون وضوءه به، قال أبو جعفر الباقر (ع): «ألا أحكى لكم وضوء رسول الله (ص)؟ ثم أخذ كفّاً من الماء فصبّها على وجهه إلى أن قال: ثم مسح رأسه وقدميه....» وفي ضوء هذه الروايات والمأثورات اتّفقت الشيعة الإمامية على أنّ الوضوء غسّلتان ومسحتان.

ص: ١١٨

المسألة العاشرة: السجود على الأرض

لعلّ من أوضح مظاهر العبوديّة والانقياد والتذلل من قبل المخلوق لخالقه هو السجود، فليس هناك أوضح في إعلان التذلل لله تعالى من السجود على التراب والرمل والحجر والحصى، لما فيه من تذلل أوضح وأبين من السجود على الحصر والبوارى، فضلاً عن السجود على الألبسة الفاخرة والفرش الوثيرة والذهب والفضّة، وإن كان الكلّ سجوداً إلا أنّ العبوديّة تتجلّى في الأوّل بما لا تتجلّى في غيره (١).

و الإماميّة ملتزمة بالسجدة على الأرض في حضرهم وسفرهم، ولا يعدلون عنها إلّا إلى ما أنبت منها من الحصر والبوارى بشرط أن لا يؤكل ولا يلبس، ولا يرون السجود على غيرهما صحيحاً في حال الصلاة أخذاً بالشيئة المتواترة عن النبي الأكرم (ص) وأهل بيته وصحبه.

كثيراً ما يتصوّر أن الالتزام بالسجود على الأرض أو ما أنبت منها بدعة، ويتخيّل الحجر المسجود عليه وثناً، وهؤلاء هم الذين لا يفرّقون بين المسجود له والمسجود عليه! وقاس أمر

ص: ١١٩

الموحد بأمر المشرک بحجّة المشاركة في الظاهر!

نعم، الساجد على التربة غير عابد لها، بل يتذلّل إلى ربّه بالسجود عليها، ومن توهم عكس ذلك فهو من البلاءه بمكان، وسيؤدّي إلى إرباك كلّ المصلّين والحكم بإشراكهم، فمن يسجد على الفرش والقماش وغيره لابدّ أن يكون عابداً لها على هذه المنوال، فيا للعجب العجيب!!

إنّ النبي الأكرم (ص) وصحبه كانوا ملتزمين بالسجود على الأرض، وروى الفريقان عن النبي الأكرم (ص) أنّه قال: «وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً»

و عن خالد الجهنى، قال: رأى النبي (ص) صهيياً يسجد كأنّه يتقى التراب، فقال (ص) له: «تربّ وجهك يا صهيبي (١)»، وعن ميمونة: «ورسول الله (ص) يصلّى على الخمره فيسجد» (٢) إلى هنا تبين أنّ التزام الشيعة باتخاذ التربة مسجداً ليس إلّا تسهيل الأمر للمصلّى في سفره وحضره خوفاً من أن لا يجد أرضاً طاهرة أو حصيراً طاهراً فيصعب الأمر عليه، وهذا كادّخار المسلم تربة طاهرة لغاية التيمّم عليها.

١- المتقى الهندي، كنز العمال: ٧/ ٤٦٥ ح ١٩٨١٠.

٢- مسند أحمد ٣٣١: ١- ٣٣٥ وأيضاً ٣٠٢- ٣٠٩ و ٣٥٨ و ٢٦٩ و ١٧٩ و ٣٧٧، و ٩٢- ٩٨.

ص: ١٢٠

و أما السرّ في التزام الشيعة استحباباً بالسجود على التربة الحسينية: أن يتذكر بوضع جبهته على تلك التربة الزاكية أولئك الذين جعلوا أجسامهم ضحايا للحق، وارتفعت أرواحهم إلى الملأ الأعلى، ليخضع ويخضع ويتلازم الوضع والرفع، وتحتقر هذه الدنيا الزائفة وزخارفها الزائلة، ولعلّ هذا هو المقصود من أن السجود عليها يخرق الحجب السبع كما في الخبر، فيكون حينئذٍ في السجود سرّ الصعود والعروج من التراب إلى ربّ الأرباب.

فليس في ذلك أية خزاة وتعسف أو شيء يضادّ نداء القرآن الكريم أو يخالف سنّة الله وسنّة رسوله (ص) أو خروج من حكم العقل والاعتبار.

المسألة الحادية عشرة: عدالة الصحابة كلهم!

إشارة

صحابه النبي الأكرم (ص) هم المسلمون الأوائل الذين رأوا النبي الأكرم (ص) وتشرفوا بكرامه الصحبة وتحملوا جانباً مهماً في عملية نشر الدعوة الإسلامية، وبذل جمع منهم النفس والنفيس في نشر الإسلام، حتّى امتدّ إلى أقاصى المعمورة، فأقاموا أسسه وشادوا بنيانه ورفعوا قواعده. وكلّ من تلا آيات الذكر الحكيم حول المهاجرين والذين اتبعوهم بإحسان لا يملك نفسه إلّا أن

ص: ١٢١

يغبط منزلتهم وعلو شأنهم بل ويتمنى من صميم قلبه أن يكون أحدهم ويدرك شأنهم، فإذا كان هذا حال الصحابة في الذكر الحكيم فكيف يتجرأ مسلم على تكفير الصحابة ورميهم بالردة والزندقه أو تفسيتهم جميعاً؟!

إنّا لو أحصينا المهتدين في عصر الرسول (ص) والذين استشهدوا في عهد النبي الأكرم فهم يتجاوزون المئات، ولا يشك أي مسلم في أنّهم كانوا مثال المؤمنين الصادقين الأجلاء الذين:

صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا

(١) فإذا كان الحال كذلك واتفق الشيعة والسني على إطراء الذكر الحكيم للصحابة والثناء عليهم، فما هو موضع الخلاف بين الطائفتين كي يعد ذلك من أعظم الخلاف بينهما؟! إنّ موضع الخلاف ليس إلّا في نقطة واحدة وهي أنّ أهل السنة يقولون بأنّ كلّ من رأى النبي (ص) وعاشه ولو يوماً أو يومين فهو محكوم بالعدالة منذ اللقاء إلى يوم ادرج في كفه ولو صدر منه قتل أو نهب أو زنى أو غير ذلك!، محتجين بما نسب إلى رسول الله (ص): «أصحابي كالنجوم، بأيّهم اقتديتم اهتديتم»، بل

ص: ١٢٢

يلبسونهم ثوب العصمة!، إلى حدّ كان القدح بالصحابي أشدّ من القدح برسول الله (ص)، فنفي العصمة عن النبي (ص) واتّهامه بالذنب قبل بعثته وبعده كان أمراً سهلاً يطرح بصورة عقيدة معقولة ولا يؤخذ القائل بها، وأمّا من نسب صغيرة أو كبيرة إلى صحابي فأهون ما يواجهونه به هو الاستتابة وإلا فالقتل. فيجب تحليل المسألة على ضوء الكتاب والسنة.

الصحابة في القرآن الكريم

أولاً: إنّ القرآن يصنّف الصحابة إلى أصناف مختلفة: فهو يتكلّم عن السابقين الأولين والمبايعين تحت الشجرة والمهاجرين المهجّرين عن ديارهم وأموالهم وأصحاب الفتح إلى غير ذلك من الأصناف المثالية الذين ينشئ عليهم ويذكرهم بالفضل والفضيلة، وفي مقابل ذلك يذكر أصنافاً أخرى يجب أن لا تغيب عن أذهاننا وتلك الأصناف هي التالية:

١- المنافقون المعروفون. (١) ٢- المنافقون المتسترون الذين لا يعرفهم النبي (ص). (٢) ٣- ضعفاء الإيمان ومرضى القلوب. (٣)

١- منافقون: ١.

٢- التوبة: ١٠١.

٣- الأحزاب: ١١.

ص: ١٢٣

٤- السَّمَاعُونَ لأهل الفتنة. (١) ٥- المسلمون الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً. (٢) ٦- المشرفون على الارتداد عندما دارت عليهم الدوائر. (٣) ٧- الفساق الذين لا يصدق قولهم ولا فعلهم. (٤) ٨- المسلمون الذين لم يدخل الإيمان في قلوبهم. (٥) ٩- المولون أمام الكفار. (٦) فإن هذه الآيات الكريمة تعرب عن أن صحابه النبي الأكرم (ص) لم يكونوا على نمط واحد، وعندئذ يتحقق أن الصحبة لا تعطى لصاحبها منقبه إلّا إذا كان أهلاً لها وهذا ما ذهب إليه الشيعة، وهو نفس النتيجة التي يخرج بها الإنسان المتدبر للقرآن الكريم. ثانياً: إن الآيات التي تناولت المهاجرين والأنصار وغيرهم بالمدح والثناء لا تدلّ على أكثر من أنهم كانوا حين نزول القرآن

١- التوبة: ٤٥-٤٧.

٢- التوبة: ١٠٢.

٣- آل عمران: ١٥٤.

٤- الحجرات: ٦ وسجده: ١٨.

٥- الحجرات: ١٤.

٦- الأنفال: ١٥-١٦.

ص: ١٢٤

مثلاً للفضل والفضيلة ولكن الأمور إنّما تعتبر بخواتيمها، فكم من مؤمن زلّت قدمه في الحياة فعاد منافقاً أو مرتدّاً وكم من ضالّ شملته العناية الإلهية فبصر الطريق وصار رجلاً إلهياً!

ثالثاً: ومن سوء الحظّ أنّ شردمة قليلة من الصحابة زلّت أقدامهم وانحرفوا عن الطريق، فلا تمسّ دراسة أحوال هؤلاء القليلين وتبين مواقفهم وانحرافهم عن الطريق المستقيم بكرامة الباقين!

فمن علمنا عدالته حكمنا بها وقبلنا روايته ولزمنا له من التعظيم والتوقير بسبب شرف الصحبة ونصرة الإسلام والجهاد في سبيل الله ما هو أهله؛ ومن علمنا منه خلاف ذلك لم تقبل روايته أمثال مروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة والوليد بن عقبة وبسر بن أرطاة وبعض بنى أمية وأعوانهم؛ ومن جهلنا حاله في العدالة توقّفنا في قبول روايته.

المسألة الثانية عشرة: في عالمية رسالة النبي ٩ و خاتمتها

إشارة

تمتاز الشريعة الإسلامية بنقطتين رئيسيتين: الأولى عالميتها وشموليتها، الثانية: كونها خاتمة الشرائع.

ص: ١٢٥

يقول سبحانه: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ) (١) و قال سبحانه: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً) (٢) لقد بعث الرسول الأعظم (ص) سفراءه إلى أنحاء المعمورة لنشر دعوته فيها وبيد كل واحد منهم كتاب يعبر عن عالمية دعوته. كما أن اجتياح جيوش المسلمين ورجالهم أرض غير العرب واستقرار الأئمة الإسلامية في أكثر مناطق المعمورة بل معظمها يومذاك، أيضاً يدل على عالميتها. والملمح الثاني هو خاتمتها، والمراد: أنها آخر الشرائع وأن المبعوث بها هو خاتم الأنبياء.

الخاتمية في الذكر الحكيم

قال سبحانه: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) (٣) و يعاضدها قوله تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ) (٤). ولأجل ذلك كتب الرسول (ص) إلى قيصر عند ما دعاه إلى الإسلام، قوله سبحانه: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا

١- سبأ: ٢٨ أيضاً الفرقان: ١.

٢- آل عمران: ١٩.

٣- الأعراف: ١٥٨.

٤- آل عمران: ٨٥.

ص: ١٢٦

إِلَى كَلِمَةٍ سِوَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ. (١) وقوله سبحانه: (يَكُونُ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا) (٢) قوله سبحانه: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) (٣) ولقد قرئ لفظ الخاتم بوجهين:

الأول: بفتح التاء، وعليه قراءة عاصم، ويكون بمعنى الطابع الذي تختتم به الرسائل والمواثيق، فكان النبي الأكرم (ص) بالنسبة إلى باب النبوة كالطابع، ختم به باب النبوة واوصد واغلق فلا يفتح أبداً.

الثاني: بكسر التاء، وعليه يكون اسم فاعل، أي الذي يختتم باب النبوة.

و على كلتا القرائتين فالآية صريحة في أن باب النبوة أو بعث الأنبياء ختم بمجىء النبي الأكرم (ص).

و تمت كلمه ربك بظهور الدعوة المحمدية ونزول الكتاب المهيمن على جميع الكتب وصارت مستقره في محلها بعد ما كانت تسير

١- آل عمران: ٦٤.

٢- الفرقان: ١، أيضاً الانعام: ١٩ وسبأ: ٢٨.

٣- الأحزاب: ٤٠.

ص: ١٢٧

دهراً طويلاً في مدارج التدرّج بنبوة بعد نبوة، وشريعة بعد شريعة.

الخاتمة في الأحاديث النبوية

ورد على لسان النبي الأكرم (ص):

«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لاني بعدى - أو ليس بعدى نبي - ولا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي»
والحديث على لسان المحدثين حديث المنزلة.

وقال رسول الله (ص): مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنه، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون: لولا موضع هذه اللبنه؛ قال رسول الله (ص):

«فأنا موضع اللبنه جئت فختمت الأنبياء»

. وقال رسول الله (ص):

«إن الرسالة والنبوة قد انقطعت، ولا رسول بعدى ولا نبي».

وقال رسول الله (ص):

«ارسلت إلى الناس كافة، وبى ختم النبيون».

وقال رسول الله (ص):

«فصلت بسّي: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وارسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»

ص: ١٢٨

الخاتمية في أحاديث العترة الطاهرة

قال الإمام علي (ع) وهو يلي غسل رسول الله (ص) وتجهيزه:
 «بأبي أنت وأمي لقد انقطع بموتك مالم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنباء وأخبار السماء».
 وقال الإمام الصادق (ع): ...
 «حلال محمد ٩ حلال أبدأ إلى يوم القيامة لا يكون غيره ولا يجيء غيره».

أُسئله حول الخاتمية

السؤال الأول:

إن القرآن الكريم ينصّ على أنّ المؤمنين بالله وباليوم الآخر من جميع الشرائع سينالون ثواب الله وأنّه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون (١)؛ ومعنى ذلك: أنّ أتباعها ناجون شأنهم شأن من اعترف بالإسلام وصار تحت لوائه تماماً، فكيف تكون رسالته خاتمة الشرائع؟!

الجواب:

إنّ غاية ما يتوخّاه القرآن - في هذه الآيات - إنّما هو فقط نسف وإبطال عقيدة اليهود والنصارى، وليعلن مكانه بأنّ النجاء

ص: ١٢٩

إنّما هي بالإيمان الصادق والعمل الصالح، فليست الأسماء ولا الأنساب هي التي تنجي أحداً في العالم الآخر، وإنّما هو الإيمان والعمل الصالح، وهذا الباب مفتوح في وجه كلّ إنسان يهودياً كان أو نصرانياً أو غيرهم.

حتّى أن أهل الكتاب لو امنوا بما آمن به المسلمون لقبّلنا إيمانهم وكفّرنا عنهم سيئاتهم. إذن فلا دلالة لهذه الآيات الثلاث على إقرار الإسلام لشريعة الشرائع بعد ظهوره.

السؤال الثاني: لماذا ختمت النبوة التبليغيّة؟!

إنّ الأنبياء كانوا على قسمين: منهم من كان صاحب شريعة، ومنهم من كان مبلّغاً لشريعة من قبله من الأنبياء، كأكثر أنبياء بنى إسرائيل الذين كانوا يبلّغون شريعة موسى بين أقوامهم. فهب أنّه ختم باب النبوة التشريعية لكون الشريعة الإسلامية متكاملة، فلماذا ختم باب النبوة التبليغيّة؟!

و الجواب عنه: غنى الأئمة الإسلامية عن هذا النوع من النبوة؛ وذلك لوجهين:

الوجه الأوّل: أنّ النبي الأكرم (ص) ترك بين الأئمة الكتاب والعترة وعرفهما إليها بيّن أنّه لن تضر الأئمة مادامت متمسكة بهما.

ص: ١٣٠

الوجه الثاني: أن علماء الأمة المأمورين بالتبليغ بعد التفقه أغنوا الأمة عن أية نبوة تبليغيه، قال سبحانه: (فَلَوْ لَا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (١) وقال سبحانه:

وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

(٢) السؤال الثالث: لماذا حرم الخلف من المكاشفة الغيبية والاتصال بعالم الغيب واستطلاع ما هناك من المعارف والحقائق؟! الجواب: إن الفتوحات الغيبية من المكاشفات والمشاهدة الروحية لم توصد بابها، وإنما أوصد منها باب خاص وهو باب النبوة، فالفتوحات الباطنية من المكاشفات والإلقاءات في الروع غير مسدود بنص الكتاب العزيز، قال سبحانه:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا

(٣) أي يجعل في قلوبكم نوراً تفرقون به بين الحق والباطل، قال سبحانه:

وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ

(٤)

١- التوبة: ١٢٢

٢- آل عمران: ١٠٤

٣- الأنفال: ٢٩

٤- الحديد: ٢٨

ص: ١٣١

و هناك روايات تدلّ بوضوح على انفتاح هذا الباب في وجه الإنسان: كما قال رسول الله (ص): «إنَّ الرسالة والنبوة قد انقطعت ولا رسول بعدى ولا نبي» فشق ذلك على الناس! فقال: «ولكن المبشّرات». فقالوا: يا رسول الله (ص) وما المبشّرات؟ فقال (ص): «رؤيا المسلم، وهي جزء من أجزاء النبوة» (١).

السؤال الرابع: كلما تكاملت جوانب الحضارة وتشابكت وتعدّدت ألوانها واجه المجتمع أوضاعاً وأحداثاً جديدة وطرح عليه مشاكل طارئة لاعهد للأزمنة السابقة بها، وما جاء به الرسول لايجاوز قوانين محدودة، فكيف تفي النصوص المحدودة بالحوادث الطارئة غير المتناهية؟!

الجواب: إنّ خلود التشريع وبقائه في جميع الأجيال ومسايرته للحضارات الإنسانية واستغناؤه عن كلّ تشريع سواه، يتوقّف على وجود أمرين فيه:

الأول: أن يكون التشريع ذا مادّة حيويّة خلّاقة للتفاصيل بحيث يقدر معها علماء الأُمّة والأخصائيون منهم على استنباط كلّ حكم يحتاج إليه المجتمع البشري في كلّ عصر من الأعصار.

الثاني: أن ينظر إلى الكون والمجتمع بسعة وانطلاق مع مرونة خاصة تماشي جميع الأزمنة والأجيال وتسائر الحضارات

ص: ١٣٢

الإنسانية المتعاقبة، وقد أحرز التشريع الإسلامي كلا الأمرين؛ أما الأول فقد أحرزه بتنفيذ أمور:

الف: الاعتراف بحجية العقل في مجالات خاصة من الأحكام التي تعدّ من ثمرات القول بالتحسين والتقبيح العقليين.

ب: إنّ الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد عند العدلية، فلا واجب إلّا لمصلحته في فعله ولا حرام إلّا لمفسده في اقترافه، ويشهد بذلك كتاب الله في موارد:

يقول سبحانه:

(إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ

(١) و يقول سبحانه:

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ

(٢) وقد تضافرت النصوص عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) على أنّ الأحكام الشرعية تخضع لملاكات، قال الإمام الطاهر على

بن موسى الرضا(ع): إنّ الله تبارك وتعالى لم يبيح أكلاً ولا شرباً إلّا

١- المائدة: ١٩١.

٢- عنكبوت: ٤٥.

ص: ١٣٣

لما فيه المنفعة والصلاح، ولم يحرم إلّا ما فيه الضرر والتلف والفساد،

وقال (ع) في الدم:

«أنه يسىء الخلق ويورث القسوة للقلب وقلة الرأفة والرحمة، ولا يؤمن أن يقتل ولده ووالده!»

.ج: إن التشريع الإسلامي في مختلف الأبواب مشتمل على أصول وقواعد عامة تفي باستنباط آلاف الفروع التي يحتاج إليها المجتمع

البشرى على امتداد القرون والأجيال، روى الكليني عن أبي عبد الله (ع) أنه قال:

«ما من شيءٍ

إلّا

وفيه كتاب أو سنة.»

نعم! تتجلى حيوية مادة التشريع إذا أخذنا بسنة رسول الله المروية عن طريق أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الذين أغنوا الأمة الإسلامية

عن اعتماد الأدلة الظنية كالقياس والاستحسان.

د: تشريع الاجتهاد وعدم غلق بابيه عند الشيعة بعد رحيل صاحب الرسالة إلى يومنا هذا، وبذلك أنقذوا الشريعة من الانطماس، وأغنوا

الأمة الإسلامية عن التطلع إلى موائد الغربيين.

ه: حقوق الحاكم الإسلامي أو ولاية الفقيه التي من شأنها أن توجه المجتمع البشرى إلى أرقى المستويات الحضارية؛ لأنه

ص: ١٣٤

يتمتع بمثل ما يتمتع به النبي (ص) والامام (ع) من النفوذ المطلق إلّا ما كان من خصائص النبي (ص) والأئمة (عليهم السلام).

المرونة التشريعية الإسلامية:

وقد تمثّلت بأمور:

الأمر الأول: كونه جامعاً بين الدعوة إلى المادّة والروح على وجه يطابق الفطرة الإنسانية، وجعل الفطرة مقياساً للحلال والحرام، وشرّع للإنسان ما يسعده في الدنيا والآخرة على ما هو مفضل في محلّه.

الأمر الثاني: النظر إلى المعاني لا إلى الظواهر: فإنّ الإسلام دعا إلى تأمين حاجات الإنسان من الملبس والمسكن وإشاعة العلم والتربية، وهذا هو اللبّ، وأمّا الأشكال والأنماط لهذا التشريع فمتروك إلى مقتضيات العصور.

الأمر الثالث: الأحكام التي لها دور التحديد، وقد اصطلح عليها الفقهاء بالأدلّة الحاكمة لأجل حكومتها وتقدّمها على كلّ حكم، مثلاً قوله سبحانه: (وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) (١) حاكم على كلّ تشريع استلزم العمل به حرجاً لا يتحمّله

ص: ١٣٥

للمكلف عادة فهو مرفوع في الظروف الحرجة؛ ومثله قوله (ص): «لا ضرر ولا ضرار»، فكلّ حكم استتبع العمل به ضرراً شديداً فهو مرفوع في تلك الشرائط نعم، تشخيص الحاكم من المحكوم وما يرجع إلى العمل بالحاكم من الشرائط يحتاج إلى الدقة والإمعان والتفقه والاجتهاد.

السؤال الخامس: إنّ مقتضى كون الإسلام ديناً خاتماً ثبات قوانينه وتشريعاته، ومن المعلوم أن المجتمع الإنساني لم يزل في تطوّر وتغير فكيف يمكن للقانون الثابت معالجة متطلبات المجتمع المتغير؟
والإجابة عنه تتوقّف على بيان ما هو الثابت من حياة الإنسان عن متغيرها:
إنّ الجانب الثابت من حياة الإنسان:

- ١- الغرائز الثابتة والروحيات الخالدة التي لا تتغير ولا تتبدّل مادام الإنسان إنساناً، فإذا كان التشريع معدّلاً، إياها عن الإفراط والتفريط ومرتكراً على العدل والاعتدال فذلك التشريع خالداً في ظلّ خلود الغرائز.
- ٢- إنّ التفاوت بين الرجل والمرأة أمر لا ينكر، فهما موجودان مختلفان اختلافاً عضوياً وروحياً رغم كلّ الدعايات السخيفة المنكرة لذلك الاختلاف، ولكلّ من الرجل والمرأة

ص: ١٣٦

متطلب وفق تركيبه، فإذا كان التشريع متجاوباً مع التركيب والفطرة يكون خالداً حسب خلود الفطرة والتركيب.

٣- الروابط العائلية كعلاقته الأب بولده وبالعكس علاقات طبيعية مبنية على الفطرة، فالأحكام الموضوعية وفق هذه الروابط من التوارث ولزوم التكريم ثابتة لا تتغير بتغير الزمان.

٤- إن في حياة الإنسان قضايا أخلاقية ثابتة عبر الزمان لا يتسرب إليها التغيير ككون الظلم قبيحاً والعدل حسناً. إن هناك موضوعات في الحياة الإنسانية لن تزل ذات مصالح ومفاسد أبدية، فمادام الإنسان إنساناً فالخمر يزيل العقل والميسر ينبت العداوة في المجتمع.

الجانب المتغير في الحياة الإنسانية:

إن للإنسان جانباً آخر في حياته لا يزال يتغير من حال إلى حال، فمثل هذا يتطلب تشريعات متغيرة حسب تغيره وتبدله، ومن حسن الحظ أنه ليس في الإسلام الخاتم تشريع ثابت لهذا الجانب، وسوّغ للمجتمع البشري إدارة شؤون حياته في مجال العمران والبناء وتطور الحياة المختلفة في مجال الثقافة والدفاع والاقتصاد في ظلّ إطار عام يتجاوب مع التغير والتطور ضمن شروط معلومة في الفقه الإسلامي، وحدوده عبارة أن لا يراحم

ص: ١٣٧

سعادة الإنسان وأن لا يكون فيه ضرر على روحه وجسمه والقيم التي بها يمتاز عن الحيوان.

الشيعة والخاتمية:

إنّ هناك شبهات ضئيلة في المقام تطرح من جانب اناس لا عرفان لهم بمذهب الشيعة. فمن ذلك اتهام الشيعة بأنّ عندهم كتباً غير القرآن، ككتاب علي، وسنن ذلك مفصلاً

١- كتاب علي (ع) وإملاء رسول الله (ص)

إنّ الإمام علي بن ابي طالب (ع) كان وليد البيت النبوي (ص)، وكان مع الرسول الأعظم منذ نعومة أظفاره إلى رحيل رسول الله (ص) عن الدنيا، وبذلك صار باب علم النبي (ص)، ولمثل هذا النوع من التلاحم يصف علي (ع) حاله مع النبي (ص) ويقول: «إني إذا كنت سألته أنبأني، وإذا سكّ ابتدأني».

كان رسول الله (ص) يأمر علياً (ع) أن يكتب كلّ ما يملأ عليه؛ فقال (ع) مرّة لرسول الله (ص): «يا نبي الله أتخاف على النسيان؟! قال (ص) لست أخاف عليك النسيان، وقد دعوت الله أن يحفظك ولا ينسيك، ولكن أكتب لشركائك!» قال (ع): قلت: ومن شركائي يا نبي الله (ص)؟! قال (ص): الأئمة

ص: ١٣٨

من ولدك»، وكان من جملة ما أملاه عليه رسول الله (ص) وكتبه على (ع) بخطه كتاب طوله سبعون ذراعاً في عرض الأديم، وهذا هو المعروف بكتاب على (ع) وصحيفته، وكانت الأئمة بعد الإمام يصدرون عنه ويروون عنه ويستشهدون في مواقع خاصية به، وبذلك صار الإمام هو المدون الرسمي للحديث النبوي (ص) وإن كان بعض الصحابة شاركه في ضبط الحديث النبوي، لكن صحائفهم وكتبهم احرقت! -ويا للأسف في عصر الخلفاء، لكن بقي كتاب الإمام غصاً طرياً مصوناً من الشر يرثه إمام بعد أمام. إذن تبين أن كتاب على (ع) لم يكن إلماً جامعاً حديثاً وكان تدويناً مبكراً للسنة النبوية المطهرة، فتسمية أئمة أهل البيت (عليهم السلام) له تارة بكتاب على (ع) واخرى بالجامعة وثالثة بصحيفة على والكتاب يعرب عن غناية الإمام بضبط أحاديث الرسول (ص)، كما يعرب عن غناية سيد الثقلين (ص) بكتابة حديثه ليبقى على مر العصور والقرون، لا يعتريه الوضع والخذش.

مصحف فاطمه ٣: لاشك أنه كان عند فاطمة مصحف، حسبما تضافرت عليه الروايات، ولكن المصحف ليس اسماً مختصاً بالقرآن، حتى تختص بنت المصطفى (ص) بقرآن خاص، وإنما كان كتاباً فيه الملاحم والأخبار، فقد روى أبو عبيدة عن

ص: ١٣٩

أبى عبدالله (ع) قال: «إنَّ فاطمة مكثت بعد رسول الله خمس وسبعين يوماً، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرئيل (ع) يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان على (ع) يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة ٣.» ولعلَّ القارئ يسأل نفسه عن فاطمة ٣ هل كانت محدثة تحدّثها الملائكة كما ورد في الرواية السابقة؟ إنَّ فاطمة ٣ لا تقلَّ شأنًا عن مريم البتول ولا عن امرأة الخليل (١)، قال سبحانه: (وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) (٢) إلى غير ذلك من الآيات الواردة في سورتي آل عمران ومريم. فإذا كانت مريم وامرأة الخليل محدّثتين ففاطمة سيده نساء العالمين ٣ أولى بأن تكون محدثة.

ما هو مصدر روايات أهل البيت؟

إنَّ لعلوم أئمة أهل البيت (عليهم السلام) مصادر مختلفة:

١- النقل عن آبائهم (عليهم السلام) عن رسول الله (ص)، من دون أن

١- هود: ٧٣ ٦٩ وقصص: ٧.

٢- آل عمران: ٤٢.

ص: ١٤٠

يتوسط بين الأسانيد شخص بين آبائهم وأجدادهم.

٢- النقل عن كتاب علي (ع).

٣- الإلهام أو تحديث الملائكة، فما كان يخبرون به من الملاحم أو يجيبون عن الأسئلة، فالكُلّ ممّا كان يلقي في روعهم. وهذا النوع من المصدر وإن كان ثقيلاً على من لم يعرف مقاماتهم، إلّا أنّه صحيح لمن درس حياتهم. إنّ المحدث - بصيغة المفعول - من تكلمه الملائكة بالنبوة ولا رؤية صورة، أو يلهم ويلقى في روعه شيء من العلم على وجه الإلهام والمكاشفة من المبدأ الأعلى أو ينكت له في قلبه من حقائق تخفى على غيره، فالمحدث بهذا المعنى ممّن اتفق عليه الفريقان: الشيعة والسنة ولو كان هناك خلاف فإنّما هو في مصداقه! وقبل ذلك نجد المحدث في الامم السالفة، فهذا صاحب موسى (ع) (١) ومريم البتول (٢) وأمّ موسى (ع) (٣).

وبذلك يعلم أنّ الإخبار عن الغيب بإذن من الله سبحانه، «لا يلزم كون المخبر نبياً، وأنّ تكلم الملائكة مع إنسان لا يصلح دليلاً على كونه مبعوثاً من الله سبحانه للنبوة؛ ولو اعتمدت

١- الكهف: ٨٢، ٦٠.

٢- آل عمران: ٤٢.

٣- القصص: ٧.

ص: ١٤١

الشيعة على علم الأئمة فلكونهم وارثين لعلم النبي (ص) ووارثين لما عند علي (ع) من الكتب التي كتبها بإملاء من رسول الله (ص) أو محدّثين تلقى في روعهم الإجابات على الأسئلة، فلا يدلّ على أنّهم أنبياء، ومن نسبهم إلى تلك الفريئة الشائنة بحجة إخبارهم عن الملاحم فقد ضلّ عن سواء السبيل، ولم يفرّق بين النبوة والرسالة والتحدّث.

ص: ١٤٣

الفصل الخامس: «رؤية الله» في ضوء الكتاب**والسنة والعقل**

إن فكرة الرؤية تسرّبت إلى المسلمين من المتظاهرين بالإسلام كالأخبار والرهبان، وصار ذلك سبباً لجرأة طوائف من المسلمين على جعلها في ضمن العقيدة الإسلامية بحيث يكفر منكرها أحياناً أو يفسق حتى أن الإمام الأشعري قال في الإبانة: وندين بأن الله تعالى يرى في الآخرة بالأبصار كما يرى القمر ليلة البدر، يراه المؤمنون، كما جاءت الروايات عن رسول الله (ص)! ثم إنهم اختلفوا في الدليل على الرؤية؛ ففرقة منهم اعتمدوا على الأدلة العقلية دون السمعية، كسيف الدين الآمدي أحد

ص: ١٤٤

مشايخ الأشاعرة في القرن السابع (٥٥١-٦٣١ هـ)، وفرقة أخرى كالرازي وغيره قالوا: العمدة في جواز الرؤية ووقوعها هو السمع، وعليه الشيخ الشهرستاني في نهاية الأقدام.

«الرؤية بالأبصار لا بالقلب ولا بالرؤيا»

محل النزاع بين الأشاعرة ومن قبلهم الحنابلة وأصحاب الحديث وبين غيرهم من أهل التنزيه: هو رؤية الله سبحانه بالأبصار، وأمّا الرؤية بغيرها فخارجة عن مجاله، فإذا كانت الحنابلة والأشاعرة مصرّين على جواز الرؤية، فأئمّة أهل البيت (عليهم السلام) ومن تبعهم من الإمامية والمعتزلة والزيدية قائلون بامتناعها في الدنيا والآخرة.

وقد نجم في ظلّ العراك الفكرية بين العلويين والأمويين منهاجاً في مجال المعارف، كلّ يحمل شعاراً، فشيعة الإمام علي (ع) وأهل بيته (عليهم السلام) يحملون شعار التنزيه والاختيار، والأمويون وشيعتهم يحملون شعار التشبيه والجبر. وقد اشتهر منذ قرون القول بأنّ: التنزيه والاختيار علويّان والتشبيه والجبر أمويان قال الرازي في تفسير قوله: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (١)

ص: ١٤٥

«احتج علماء التوحيد قديماً وحديثاً بهذه الآية على نفى كونه جسماً مركباً من الأعضاء والأجزاء حاصلًا في المكان والجهة (١)» واعلم أن محمد بن إسحاق بن خزيمة ولد عام ٣١١ هـ. وقد ألف «التوحيد وإثبات صفات الرب»، وكتابه هذا مصدر المشبهة والمجسمة في العصور الأخيرة وقد اهتمت به الحنابلة وخصوصاً الوهابية، فقاموا بنشره على نطاق واسع، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا!

«الرؤية في كلمات الإمام على ٧»

قد سأل الإمام ذعلب اليماني فقال: هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين (ع)؟! فقال (ع) «أفأعبد مالا أرى؟! فقال فكيف تراه؟! فقال (ع): «لاتدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان؛ قريب من الأشياء غير ملابس، بعيد منها غير مباين» (٢) وقال (ع):

«الحمد لله الذي لاتدركه الشواهد، ولا تحويه المشاهد، ولا تراها النواظر، ولا تحجبه السواتر» (٣)

١- مفاتيح الغيب: ٢٧ / ١٥٠. ...

٢- نهج البلاغة، الخطبة: ١٧٤.

٣- نهج البلاغة، الخطبة: ١٨٠.

ص: ١٤٦

للإمام الطاهر على بن موسى الرضا(ع): إذا كانت الرواية مخالفة للقرآن كذبته وما أجمع المسلمون عليه أنه لا يحيط به علماً ولا تدركه الأبصار وليس كمثله شيء.

«الرؤية في منطق العلم والعقل»

إنّ الرؤية في منطق العلم والعقل لا- تتحقّق إلّا إذا كان الشيء مقابلاً أو حالاً في المقابل، كما في رؤية الصور في المرآة؛ وهذا أمر تحكم به الضرورة وإنكاره مكابرة واضحة، فإذا كانت ماهية الرؤية هي ما ذكرناه، فلا يمكن تحقّقها فيما إذا تنزّه الشيء عن المقابلة أو الحلول في المقابل. وبعبارة واضحة: أنّ العقل والنقل اتّفقا على كونه سبحانه ليس بجسم ولا جسماني ولا في جهة، والرؤية فرع كون الشيء في جهة خاصّة، وما شأنه هذا يتعلّق بالمحسوس لا بالمجرّد و لقائل أن يسأل: أنّه لو وقعت الرؤية على ذاته سبحانه فهل تقع على كلّ أو بعضه؟! فلو وقعت على الكلّ تكون ذاته محاطة لا محيطّة، وهذا باطل بالضرورة ولو وقعت على الجزء تكون ذاته ذات جزء مركّب.

ص: ١٤٧

«محاولة يائسة في تجويز الرؤية»

١- الرؤية بلا كيف: هذا العنوان هو الذى يجده القارئ فى كتب الأشاعرة، وربما يعبر عنه خصومهم بالبلكفه، ومعناه أن الله تعالى يرى بلا كيف وأن المؤمنين فى الجنة يرونه بلا كيف، أى منزهاً عن المقابلة والجهة والمكان. وعبارة أخرى: أن الحنابلة والأشاعرة يصرون على أن الصفات الخبرية كاليد والرجل والقدم والوجه فى الكتاب والسنة يجب أن تفسر بنفس معانيها اللغوية، ولا يجوز لنا حملها على معانيها المجازية كالقدرة فى اليد مثلاً؛ ولما رأوا أن ذلك يلزم التجسيم التجأوا إلى قولهم «يد بلا-كيف، ولكنهم خفى عنهم أن الكيفية فى اليد والوجه وغيرهما مقومة لمفاهيمها، فنفى الكيفية يساوق نفى المعنى اللغوى، فكيف يمكن الجمع بين المعنى اللغوى والحمل عليه «بلا-كيف»؟! ومنه يعلم حال الرؤية بالبصر والعين، فإن التقابل مقوم لمفهومها، فإثباتها بلا-كيف يلزم نفى أصل الرؤية، وقد عرفت أن الكلام فى النظر بالبصر والرؤية بالعين، لا الرؤية بالقلب أو فى النوم.

٢- اختلاف الأحكام باختلاف الظروف: إن بعض المثقفين الجدد لما أدركوا بعقولهم أن الرؤية لا تنفك عن الجهة التجأوا

ص: ١٤٨

إلى القول بأنّ كلّ شيءٍ في الآخرة غيره في الدنيا، ولعلّ الرؤية تتحقّق في الآخرة بلا هذا اللازم السلبي!

٣- عدم الإكتراث بإثبات الجهة!

الدكتور أحمد بن محمّد خرّيج جامعة أمّ القرى [مكة].... تخلّص عن الالتزام بإثبات الجهة لله بقوله: إنّ إثبات صفّة العلوّ لله تبارك وتعالى ورد في الكتاب والسنة في مواضع كثيرة جداً! فلا حرج في إثبات رؤية الله تعالى من هذا العلوّ الثابت له تبارك وتعالى، ولا يقدح هذا في التنزيه. ويرد عليها ما يرد على الأولى مضافاً لها إلى ما سيوافك من الآيات القرآنية.

موقف الذكر الحكيم من أمر الرؤية:

إنّ الذكر الحكيم يصف الله سبحانه بصفات تهدف جميعها إلى تنزيهه عن الجسم والجسمانية وأنّه ليس له مثل ولا نظير ولا ندّ ولا كفاء، وأنّه محيط بكلّ شيءٍ ولا يحيطه شيءٌ إلى غير ذلك من الصفات المنزّهة، نشير إلى بعض منها: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (١) (وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) (٢) (هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا

١- الشورى: ١١.

٢- التوحيد: ٤.

ص: ١٤٩

(كُنْتُمْ) (١) (أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ) (٢) (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (٣) فهو مع الأشياء معية قيومية لاميّة مكانية؛ وذلك مقتضى كونه قيوماً وما سواه قائماً به، ولا يمكن للقيوم الغيوبه عمّا قام به، فالجميع محاط وهو محيط، ومن كان بهذه المنزلة لاتدركه الأبصار الصغيرة الضعيفة ولايقع في أفقها، ولكنّه لكونه محيط، يدرك الأبصار! فمن تلا- هذه الآيات وتدبر فيها يحكم بأنّه سبحانه فوق أن يقع في وهم الإنسان وفكره ومجال بصره وعينه، مع أنّه كان ولاعلو ولاجهه، بل هو خالقهما، وهو محيط بكلّ شيء.

هذا من جانب، ومن جانب آخر نرى أنّه سبحانه كلّما طرح مسألة الرؤية في القرآن الكريم فأنما يطرحها ليؤكد عجز الإنسان عن نيلها، ويعتبر سؤالها وتمنيها من الإنسان أمراً فظيلاً وقيحاً وتطلّعاً إلى ما هو دونه، قال سبحانه: (لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) (٤) وقال سبحانه:

١- الحديد: ٤.

٢- فصلت: ٥.

٣- الأنعام: ١٠٣.

٤- البقرة: ٥٥.

ص: ١٥٠

(أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ) (١) وقال سبحانه: (قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي) (٢) فالإمعان بما ورد فيها من عتاب وتنديد بل وإماتة وإنزال عذاب يدلّ بوضوح على أنّ الرؤية فوق قابلية الإنسان، وطلبه لها أشبه بالتطلع إلى أمر محال. هذا بغضّ النظر عن الدنيا والآخرة، ولا صلة لها بظرف السؤال.

دراسة أدلة النافين

الآية الأولى: (لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) (٣). الاستدلال بالآية يتوقف على البحث في مرحلتين:

المرحلة الأولى: في بيان مفهوم الدرك لغه.

الدرك في اللغة «اللحوق والوصول». وأدركته ببصرى أى رأيته. فالإدراك بالبصر: إلحاق من الرائي بالمرئي بالبصر.

المرحلة الثانية: في بيان مفهوم الآية: أنه إذا تعالى عن تعلّق الأبصار فقد خرج عن حيطه الأشياء، و «اللطيف» هو الرقيق النافذ في الشيء و «الخبير» من له الخبرة الكاملة، فإذا كان

١- النساء: ١٥٣؛ أيضا الفرقان: ٢١.

٢- الأعراف: ١٤٣.

٣- الأنعام: ١٠٣.

ص: ١٥١

تعالى محيطاً بكلّ شيءٍ لرقته ونفوذه في الأشياء، كان شاهداً على كلّ شيءٍ ومع ذلك فهو عالم بظواهر الأشياء وبواطنها من غير أن يشغله شيء عن شيء أو يحتجب عنه شيء بشيء، وإنّ لفظ الأبصار صيغة جمع دخل عليها الألف واللام فهو يفيد الاستغراق أى لا يدركه أحد من ذوى الأبصار.

الآية الثانية: (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً) (١) بيانها: أنّ الرؤية سواء أوقعت على جميع الذات أم على جزئها، فهي نوع إحاطة علمية من البشر به سبحانه، وقد قال: (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً) (٢) الآية الثالثة: (قَالَ لَنْ تَرَانِي). (٣) المفهوم الصحيح للآية: هو تعالىه سبحانه عن الرؤية، وأنّ سؤاله الرؤية أمر عظيم فظيع لا يمحي أثره إلّا بالتوبة؛ وذلك لوجوه:

١- الإجابة بالنفي المؤبد الدال على عدم تحققها أبداً لا في

١- طه: ١١٠.

٢- طه: ١١٠.

٣- الأعراف: ١٤٣.

ص: ١٥٢

هذه الدنيا ولا في الآخرة.

٢- تعليق الرؤية على أمر غير واقع: علّق سبحانه الرؤية على استقرار الجبل وبقائه على الحالة التي كان عليها عند التجلّي وعدم تحوّلها إلى ذرات ترابية صغار بعده، والمفروض أنّه لم يبق على حالته السابقة وبطلت هوّيته وصارت تراباً مدكوّكاً، فإذا انتفى المعلق عليه (بقاء الجبل على حالته) ينتفى المعلق، وهو الرؤية.

٣- تنزيهه سبحانه بعد الإفاقة عن الرؤية:

تذكر الآية أنّ موسى لما أفاق فأول ما تكلم به هو تسبيحه سبحانه وتنزيهه وقال: «سبحانك»؛ وذلك لأنّ الرؤية لاتنفكّ عن الجهة والجسمية وغيرهما من النقائص؛ فنزّمه سبحانه عنها، فطلبها نوع تصديق لها.

٤- توبته لأجل طلب الرؤية: إنّ موسى بعد ما أفاق أخذ بالتنزيه أولاً والتوبة والإنابة إلى ربّه ثانياً، وظاهر الآية أنّه تاب من سؤاله، كما أنّ الظاهر من قوله «وأنا أول المؤمنين» أنّه أول المصدّقين بأنّه لا يرى بتاتاً.

ص: ١٥٣

شبهات المخالفين

الشبهة الاولى:

لو كانت الرؤية ممتنعة لما سألها الكليم، ولا شك في كون موسى عارفاً بما يجب ويجوز ويمتنع على الله تعالى، وحيث سألها علمنا أن الرؤية جائزة على الله تعالى!

الجواب: أن القرائن تشهد على أنه سأل الرؤية على لسان قومه حيث كانوا مصرين على ذلك، انظر قوله سبحانه: (قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا) (١) ولقوله تعالى: (فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَاكَ فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ) (٢) و توضيح ذلك: أن الكليم لما أخبر قومه بأن الله كلمه وقربه وناجاه، قال قومه: لن نؤمن بك حتى نسمع كلامه كما سمعت، فاختار منهم سبعين رجلاً لميقاته وسأله سبحانه أن يكلمه؛ فلما كلمه الله وسمع القوم كلامه، قالوا: (لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً) (٣) فعند ذلك (أَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ) (٤). فقد

١- الأعراف: ١٥٥.

٢- النساء: ١٥٣.

٣- البقرة: ٥٥.

٤- البقرة: ٥٥ والنساء: ١٥٣؛ ر. ك. الصدوق، التوحيد: ١٢١/ ح ٢٤ باب ماجاء في الرؤية.

ص: ١٥٤

تُضح مما ذكرنا عدم دلالة الآية على إمكان رؤيته سبحانه بطلب موسى (ع).

الشبهة الثانية:

إنّ تجليه سبحانه للجبل هو رؤية الجبل له، فلما رآه (سبحانه) اندكت أجزاءه، فإذا كان الأمر كذلك ثبت أنّه تعالى جازر الرؤية، وأقصى ما يقال: إنّّه تعالى خلق في ذلك الجبل الحياة والعقل والفهم، ثم خلق فيه الرؤية متعلقة بذات الله. (١) لكن يلاحظ على هذا الكلام: ليس في الآية أى دليل عليه، وظاهر الآية أنّه سبحانه تجلّى للجبل وهو لم يتحمّل تجليه، لا أنّه رآه وشاهده! وأما التجلّى، فكما يحتمل أن يكون بالذات، كذلك يحتمل أن يكون بالفعل، فمن لم يتحمّل تجليه بفعله وقدرته، فالأولى أن لا يتحمّل تجليه بذاته، وعندئذٍ فمن المحتمل جدّاً أن يكون تجليه بآثاره وقدرته وأفعاله. لذا لا يمكن التمسك به وطرح الدلائل القاطعة عقلاً ونقلًا على امتناع رؤيته.

رؤية الله في الذكر الحكيم: «دراسة أدلة المثبتين»

استدل القائلون بجواز الرؤية بآيات متعدّدة، والمهم فيها هو الآية الآتية، أعنى قوله سبحانه:

(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) (١)

فإن المثبتين يركزون على أنّ الناظرة بمعنى الرؤية، كما أنّ نافيها يفسّرونها بمعنى الانتظار، مع أنّ تسليم كونه بمعنى الرؤية غير مؤثّر في إثبات مدّعيها كما سيظهر؛ والحقّ عدم دلالتها على جواز رؤية الله بتاتاً؛ وذلك لأمرين:

الأول: أنّه سبحانه استخدم كلمة «وجوه» لا «عيون»، والعجب أنّ المستدلّ غفل عن هذه النكتة التي تحدّد معنى الآية وتخرجها عن الإبهام والتردد بين المعنيين.

الثاني: نحن نوافق المثبتين بأنّ النظر إذا استعمل مع «إلى» يكون بمعنى الرؤية لكن الذي يجب أن نلفت إليه نظر المستدلّ هو أنّه ربّما يكون المعنى اللغوي ذريعة لتفهم معنى كنائي ويكون هو المقصود بالأصالة لا المدلول اللغوي، فلو قلنا: زيد كثير الرماد، المراد هنا جوده وسخاؤه وكثرة إطعامه، وهذه هي القاعدة الكلية في تفسير كلمات الفصحاء والبلغاء، فلا شك أنّ

ص: ١٥٦

المراد منه: يرجون رحمته، والمراد من قوله: (لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ) (١) هو طردهم عن ساحته وعدم شمول رحمته لهم وعدم تعطفه عليهم، لعدم مشاهدته إياهم.

والحاصل: أنَّ النظر إذا اسند إلى «العيون» يكون المعنى المراد الاستعمالي والجدي هو الرؤية على أقسامها، وإذا اسند إلى «الشخص الفقير» أو إلى «الوجه» فيراد به الرؤية استعمالاً والانتظار جداً.

ثم إنَّ لصاحب الكشف هنا كلمة جيدة، حيث يقال بهذا الصدد: «يقال: «أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي» يريد معنى التوقع والرجاء.»

(٢)

«خمس آيات على مائدة التفسير»

إنَّ أصحاب القول بالرؤية يتمسكون ببعض الآيات مما لا دلالة له على مدعاهم، بل لا صلة بينه وبين القول بالرؤية: الآية الأولى: (قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) (٣)

١- آل عمران: ٧٧.

٢- الأعراف: ١٤٤.

٣- الزمخشري، الكشف: ٣ / ٢٩٤.

ص: ١٥٧

قيل: إن الاستدلال بهذه الآية على جواز الرؤية قوى؛ لأن الله تعالى عدّد لموسى (ع) هذه النعم التي أنعم الله بها عليه لما منعه من حصول جائز طلبه منه، فذكر ما ذكر تسلياً له، ولو منعه من ممتنع كان بخطاب آخر وذلك مثل خطابه لنوح (رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) (١) أقول: أن إثبات الرؤية بها تحميل للنظرية على الآية، وليس تفسيراً لها؛ لو لم نقل إن الآية وردت على خلاف ما يدّعيه، فإنما وردت في مورد الامتنان على موسى (ع) وموعظة له أن يكتفى بما اصطفاه الله به من رسالاته وكلامه ويشكره ولا يزيد عليه.

الآية الثانية: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) (٢) فقد فسرت الحسنى بالجنة والزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم!

الجواب:

- وإن سياق الآية يدل على أن المراد من الزيادة هو الزيادة على الاستحقاق، قال سبحانه: (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

١- هود: ٤٥ و ٤٦.

٢- يونس: ٢٦.

ص: ١٥٨

الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ (١) وقال سبحانه: (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ) (٢) فإنَّ المراد أحد المعنيين، إما زيادة على ما يشاءونه مالم يخطر ببالهم ولم تبلغه أمانيتهم، أو الزيادة على مقدار استحقاقهم من الثواب بأعمالهم.

الآية الثالثة: (وَإِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا) (٣) قال الرازي: فإنَّ إحدى القراءات في هذه الآية في «ملكاً» بفتح ميم وكسر اللام وأجمع المسلمون على أنَّ ذلك الملك ليس إلَّا الله. (٤) الجواب:

و يلاحظ على كلامه: إنَّ المسائل العقائدية يستدلُّ عليها بالأدلة القطعية لا بالقراءات الشاذة، وسياق الآية يدلُّ على أنَّه هو المُلْك - بضمِّ الميم وسكون اللام - وكأنَّه سبحانه يقول: وإذا رميت ببصرك الجنة رأيت نعيماً لا يوصف وملكاً كبيراً لا يقدر قدره.

الآية الرابعة: آيات اللقاء: (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ) (٥)،

١- النساء: ١٧٤.

٢- ق: ٣٥.

٣- الإنسان: ٢٠.

٤- الرازي، مفاتيح الغيب: ١٣ / ١٣١.

٥- الكهف: ١١٠.

ص: ١٥٩

(وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ) (١)، (تَجِيئُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ) (٢).

وجه الاستدلال: أن الآيات تنسب اللقاء إلى الله تعالى، ومقتضى الأخذ بالظاهر هو تحقق اللقاء بالمشاهدة والمعانيه.

لكن هذا الاستدلال يلاحظ عليه: أن اللقاء كما أضيف في هذه الآيات إليه سبحانه أضيف إلى غيره في آيات أخرى، فتارة أضيف إلى لفظ «الآخرة»، قال سبحانه: (وَقَالَ الْمَلَأُ مَن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ) (٣) وأخرى إلى لفظ «اليوم» قال سبحانه: (وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) (٤) وقال سبحانه: (وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) (٥) وعلى ذلك يكون المراد من الجميع هو لقاء الناس يوم الجزاء، وإنما سمي هذا بلقاء الرب أو لقاء الله لما تعلقت المشيئة على مجازاة المحسنين والمسيئين في ذلك اليوم.

والمذى يدل على أن المراد من اللقاء ليس هو الرؤية: أن الرؤية تختص بالمؤمنين ولا تعم الكافرين، مع أنه سبحانه يعمم اللقاء بالمؤمن والكافر، فلم تبق أية فضيلة وزيادة

١- البقرة: ٢٢٣.

٢- الأحزاب: ٤٤.

٣- المؤمنون: ٣٣ وأيضاً الأعراف: ١٤٧.

٤- الزمر: ٧١.

٥- الجاثية: ٣٤.

ص: ١٦٠

تختصّ بالمؤمنين.

و فى الختام نقول: إنّ منزلة آيات اللقاء هى منزلة آيات الرجوع إلى الله، قال سبحانه: (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ) (١)، ولم نر سلفياً أو أشعرياً يستدلّ بها على رؤية الله سبحانه، مع أنّ وزن الجميع واحد.

الآية الخامسة: آية الحجب: (كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ) (٢) قال الألوسى: لا يرونه تعالى وهو حاضر ناظر لهم بخلاف المؤمنين، فالحجاب مجاز عن عدم الرؤية؛ لأنّ المحجوب لا يرى ما حجب. واحتج بالآية مالك والشافعى وأنس ابن مالك.

و يلاحظ على هذا الكلام: أنّ الآية بصدد تهديد المجرمين، وهذا لا يحصل إلّا بتحذيرهم وحرمانهم من رحمته وتعذيبهم فى جحيمه، فالمراد أنّ هؤلاء محجوبون يوم القيامة عن رحمته وإحسانه وكرمه، وبعد ما منعوا من الثواب والكرامة يكون مصير هؤلاء إلى الجحيم وإنّ الله سبحانه ذكر نعم الجنّة الكثيرة ومقامات المؤمنين ولو كانت الرؤية من أمثال نعمه سبحانه فلماذا لم يذكرها بوضوح كسائر النعم؟! النعم!

١- البقرة: ١٥٦.

٢- همان: ١٥٦.

ص: ١٦١

رؤية الله في الأحاديث النبوية

بقى الكلام في الروايات الواردة حول الرؤية في الصِّحاح والمسانيد ودلالاتها على المطلوب، لكنّ الكلام في حجية الروايات التي تعارض الذكر الحكيم وتباينه؛ فإذا كان الكتاب العزيز مهيمناً على سائر الكتب، فلماذا لا يكون مهيمناً على السنن المروية عن الرسول (ص)، التي دوّنت بعد مضي ١٤٣ سنة من رحيله (ص)؟ ولم تصن عن دسّ الأحبار والرهبان! قال سبحانه: (فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ) (١) ولا يعني ذلك: حذف السِّنة من الشريعة ورفع شعار حسبنا كتاب الله، بل يعني التأكيد من صحتها ثم التمسك بها في مقام العمل والاعتقاد! (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) (٢)

١- المائدة: ٤٨.

٢- ق: ٣٧.

ص: ١٦٢

الرؤية القلبية

كان المرتقب من أئمة الحديث والكلام الإشارة إلى قسم آخر من الرؤية الذي ليس هو بعين مادية ولا بصر جسماني، إنما هي رؤية أخبر عنها الكتاب ولا تتوقف على الجهة والمقابلة ولا التجسيم والمشابهة، قال سبحانه: (وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) (١) قال العلامة الطباطبائي: «إنه تعالى يثبت في كلامه قسماً للرؤية والمشاهدة وراء الرؤية البصرية الحسية؛ وهي نوع شعور في الإنسان يشعر بالشئ بنفسه من غير استعمال آله حسيّة أو فكريّة، بل يجده وجداناً من غير أن يحجبه عنه حاجب. والذي يتجلّى من كلامه سبحانه أنّ هذا العلم المسمّى بالرؤية واللقاء يتم للصالحين من عباد الله يوم القيامة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ) (٢) فهذا هو العلم الضروري الخاص. (٣) الذي لا يتردد إليه الريب. وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين، تعالى الله عما يصفه المشبهون والملحدون».

١- الأنعام: ٧٥.

٢- الميزان: ٨/ ٢٥٣ ٢٥٢.

٣- الانشقاق: ٦.

ص: ١٦٣

تكفير «ابن باز» لمن لا يقول بالرؤية

غير أنّ مفتي السعودية عبدالعزيز بن باز غالى في الموضوع؛ وذلك في الفتوى الصادرة في ٨ / ١٤٠٧ هـ. المرقمة ٧١٧ / ٢ جواباً على سؤال وجهه عبدالله بن عبدالرحمن يتعلّق بجواز الاقتداء والائتمام بمن لا يعتقد بمسألة الرؤية في يوم القيامة؛ فأفتى: بأنّ من ينكر رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة لا يصلّي خلفه وهو كافر عند أهل السنّة والجماعة!

وقال أبوبكر المروزي: من زعم أنّ الله لا يرى في الآخرة فقد كفر، وقال من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمي، والجهمي كافر! وقال إبراهيم بن زياد الصائغ: سمعت أحمد بن حنبل يقول: الرؤية، من كذب بها فهو زنديق، وقال: من زعم أنّ الله لا يرى فقد كفر بالله! وكذب بالقرآن! وردّ على الله أمره! يستتاب فإن تاب وإلا قتل!

تحليل هذه الفتيا:

١- إنّ هذه الفتوى لاتصدر عمّن يجمع بين الرواية والدراية، وإنّما متفرّعة على القول بأنّ الله مستقرّ على عرشه فوق السماوات.

ص: ١٦٤

٢- إنَّ النبي الأكرم (ص) كان يقبل إسلام من شهد بوحدانيته سبحانه ورسالة النبي (ص)، وهذا هو البخارى يروى فى صحيحه: أنَّ الإسلام بنى على خمس، وليس فيه شىء من الإقرار بالرؤية، وهل النبي (ص) ترك ما هو مقوم الإيمان والإسلام؟!

٣- إنَّ الرؤية مسألة اجتهادية تضاربت فيها أقوال الباحثين من المتكلمين والمفسرين وكل طائفة تتمسك بلفيف من الآيات؛ فتمسك المثبت بقوله سبحانه: (إلى ربِّها ناظرة) وتمسك النافى بقوله سبحانه (لا تُدركهُ الأبصار) فكيف يكون إنكار النافى ردًّا للقرآن، ولا يكون إثبات المثبت ردًّا له؟!

و إذا جاز التأويل لطائفة، فكيف لا يسوغ لطائفة أخرى؟!

٤- ما معنى قول من يقول فى مقابل المنكر للرؤية: السيف السيف؟! بدل أن يقول: الدراسة الدراسة، الحوار الحوار!

أليس شعار «السيف السيف» ينم عن طبيعته عدوانية قاسية ونفسية خالية من الرحمة والسماحة؟! وأنا أجل إمام دارالهجرة عن هذه الكلمة!

٥- إنَّ نفى الرؤية شعاراً أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وشعار الإمام أمير المؤمنين على (ع) فى خطبه وكلماته قبل أن يولد جهم وأذنا به، ولأجل ذلك اشتهر: «العدل والتنزيه علويان والجبر والتشبيه أمويان»!

ص: ١٦٥

الخاتمة

لقد تجلّت الحقيقة بأجلى مظاهرها، وهى أصفى من أن تكدر صفوها الشُّبه؛ ومن قرأ مباحث هذا الفصل بإمعان وتأمل وقف على أنّ الحقّ مع النافين للرؤية وأنّه ليس للمثبتين دليل لا عقلى ولا نقلى.

فالمسلم مادام له حجة على عقيدته ولم يكن مقصّراً فى سلوكها لا يحكم عليه بشيء من الكفر والفسق ولا العقاب ولا العذاب وأظنّ أنّه لو انعقد مؤتمر علمى فى جوّ هادئ واستعدّت الطائفتان للتأمل فى براهين النافين والمثبتين لقلّ الخلاف وتقاربت الطائفتان. نعم إنّ خلافاً دام قروناً لا ينتهى بأسبوع أو شهراً وبعقد مؤتمر ومؤتمرين، ولكن الرجاء تقريب الخطى وعدم تكفير إحدى الطائفتين للطائفة الأخرى.

إنّ من كتب حول الرؤية من إخواننا أهل السنّة - من غير

ص: ١٦٦

فرق بين النافى والمثبت - فقد دقَّ كلَّ باب ورجع إلى كلِّ صحابي وتابعي ومتكلم وفيلسوف، ولم يدقَّ باب أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وفي مقدّماتهم الإمام علي (ع) باب علم النبي (ص) وأفضى الأئمة وأحد الثقلين اللّذين تركهما النبي (ص) لهداية الأمة. فقد طفحت خطبه التوحيدية بتنزيهه سبحانه عن رائحة التجسيم وشوب الجهة وإمكان الرؤية، فبلغ رسالات الله التي تعلّمها في أحضان النبي (ص) بأبلغ بيان. وإذا ذهبت العدلية كالمعتزلة والإمامية إلى امتناع الرؤية فمنه أخذوا ومن منهجه تعلّموا، فبلغوا الغاية في التنزيه حسب إرشاداته، كما صرّح بذلك غير واحد من أئمة العدلية (ع)؛ وقد ذكرنا بعض خطبه فيما مضى، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى خطبه في نهج البلاغة، وإلى كلمات أبنائه الطاهرين (عليهم السلام) في كتاب التوحيد للشيخ الصدوق (رحمة الله).

و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الحمد لله الذي جعلنا من المتمسكين بولايه أمير المؤمنين، على بن أبي طالب،

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

تم التلخيص في مدينة قم المشرفة

١٥ الربيع الثاني من عام ١٤٢٥ هـ. ق.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

ان ممثلية الولي الفقيه في شؤون الحج والزيارة واستنادا الى توجيهات قائد الثورة الاسلامية سماحة آية الله العظمى الخامنئي مد ظله العالی ، واتباعا لاوامر مؤسس نظام الجمهورية الاسلامية الايرانية المقدس سماحة الامام الخميني قدس سره ، تتولى عدة مهام من بينها التقييم، وتحديد الأهداف، ورسم السياسات ووضع الخطط العامة والتفصيلية من اجل تحقيق الحج الابراهيمي واداء مراسم الزيارة بشكل مطلوب،

ان اجراء المشاريع الثقافية والتعليمية والسياسية الشاملة للحج والزيارة لتلبية الاحتياجات المعنوية والمعرفية والدينية لزوار بيت الله الحرام والعتبات المقدسة ، خاصة عن طريق جذب وتنظيم وايفاد علماء الدين وكذلك الارتباط المستمر مع الزوار ومسؤولي الحج في الدول الاخرى خلال موسم الحج والعمرة وزيارة العتبات المقدسة، بهدف التعريف بالاسلام والشيعه والثورة الاسلامية وطرح قضايا العالم الاسلامي الاخرى ، هي من الاهداف الاخرى لممثلية الولي الفقيه في شؤون الحج والزيارة ، كما ان من الاهداف الاخرى للممثلة يمكن الاشارة الى الارتباط مع الهيئات والمراكز العلمية والدينية في الدول الاسلامية والسعودية ، واعداد ونشر الكتب والنشرات وباقي المنتجات المقروءة والمسموعة والمرئية ، وكذلك تنظيم الاتصالات العامة والاعلام في ممثلية الولي الفقيه. كما ان موقع ممثلية الولي الفقيه في شؤون الحج والزيارة على شبكة الانترنت يعتبر اول موقع متخصص للحج والزيارة ، اذ انه فضلا عن تلبية الاحتياجات العديدة للمسافرين الى ارض الوحي والعتبات المقدسة وباقي الاماكن الدينية المباركة ، يعد مصدرا قيما ذات محتوى تعليمي في قضايا الحج والزيارة بالنسبة لمتصفح الانترنت.

ان الموقع الاعلامي للحج يحتوي على جميع امكانيات وسيلة رقمية لتوضيح المسائل التعليمية لزوار الاماكن المقدسة. كما يمكن لمكتبة الحج التخصصية اعتبارها جزءا من القابلية التي اوجدها في الفضاء الافتراضي. فمكتبة الحج التخصصية هي مرجع تشمل معلومات وكتب الكترونية ومجموعة مقالات لبعثة قائد الثورة الاسلامية خلال العقدين الماضيين ، وتلبي احتياجات الباحثين الدينيين وزوار الحرمين الشريفين والعتبات المقدسة و... واضافه الى ذلك فان آخر الاخبار الخاصة في مجال الحج والزيارة تنشر ايضا في الموقع الاعلامي للحج. وهذا الموقع هو اول وكالة انباء متخصصة بالحج والزيارة.

ويحتوي الموقع الاعلامي لممثلية الولي الفقيه في الحج والزيارة ، على اقسام مختلفة مثل وكالة الانباء والمكتبة والاماكن ومعرض الصور وتعليم احكام ومناسك الحج ومكتبة الصوتيات والافلام ، والبرمجيات والرد على الشبهات ومناسبات الايام ، والموسوعة الحرة للحج ، والمدونات واقسام اخرى حيث يستطيع متصفح الفضاء الافتراضي الاستفادة منها حسب احتياجاتهم ورغباتهم.

جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١).
قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرَّضَا - عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنَادِرُ الْبَحَار - فِي تَلْخِصِ بَحَارِ الْأَنْوَارِ، لِلْعَلَامَةِ فَيضِ الْإِسْلَام، ص ١٥٩؛ عَيُونُ أَخْبَارِ الرَّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧).

مُؤَسَّس مَجْتَمَع "الْقَائِمِيَّة" الثَّقَافِي بِأَصْبَهَانَ - إِيرَانَ: الشَّهِيد آيَةُ اللَّهِ "الشَّمْسُ آبَادِي" - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَانَ أَحَدًا مِنْ جَهَابِذَةِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ، الَّذِي قَدْ اشْتَهَرَ بِشَعْفِهِ بِأَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) وَلا سَيِّمًا بِحَضْرَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرَّضَا (عَلَيْهِ السَّلَام) وَبِسَاحَةِ صَاحِبِ الزَّمَانِ (عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ)؛ وَ لِهَذَا أُسِّسَ مَعَ نَظَرِهِ وَدِرَايَتِهِ، فِي سَنَةِ ١٣٤٠ الْهَجْرِيَّةِ الشَّمْسِيَّةِ (= ١٣٨٠

الهجرية القمرية)، مؤسسه وطريقه لم ينطفيئ مصباحها، بل تتبّع بأقوى وأحسن موقف كل يوم.

مركز "القائمة" للتحرّي الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامي - دام عزه - ومع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلمية وطلاب الجوامع، بالليل والنهار، في مجالات شتى: دينية، ثقافية وعلمية...

الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة وتبسيط ثقافته الثقلين (كتاب الله وأهل البيت عليهم السلام) ومعارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحرّي الأدق للمسائل الدينية، تخليف المطالب النافعة - مكان البلاية المبتدلة أو الردية - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) والحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضية واسعة جامعة ثقافية على أساس معارف القرآن وأهل البيت عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين والطلّاب، توسعة ثقافته القراءة وإغناء أوقات فراغه هواة برامج العلوم الإسلامية، إنالة منابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام والشبهات المنتشرة في الجامعة، و...

- منها العدالة الاجتماعية: التي يمكن نشرها وبثها بالأجهزة الحديثة متصاعدة، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق والتسهيلات - في آكناف البلد - ونشر الثقافة الإسلامية والإيرانية - في أنحاء العالم - من جهة أخرى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع ونشر عشرات عنوان كتب، كتيبة، نشره شهريّة، مع إقامة مسابقات القراءة

(ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقية ومكتبية، قابلة للتشغيل في الحاسوب والمحمول

(ج) إنتاج المعارض ثلاثية الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة و... الأماكن الدينية، السياحية و...

(د) إبداع الموقع الانترنتي "القائمة" www.Ghaemiyeh.com وعدة مواقع أخرى

(هـ) إنتاج المنتجات العرضية، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية

(و) الإطلاق والدعم العلمي لنظام إجابة الأسئلة الشرعية، الاخلاقية والاعتقادية (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيم النظام التلقائي واليدوي للبلوتوث، ويب كشك، والرسائل القصيرة SMS

(ح) التعاون الفخري مع عشرات مراكز طبيعية واعتبارية، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلمية، الجوامع، الأماكن الدينية كمسجد جَمكران و...

(ط) إقامة المؤتمرات، وتنفيذ مشروع "ما قبل المدرسة" الخاص بالأطفال والأحداث المشاركين في الجلسة

(ي) إقامة دورات تعليمية عمومية ودورات تربية المربي (حضوراً وافتراضاً) طيلة السنة

المكتب الرئيسي: إيران/أصبهان/شارع "مسجد سيد" / "ما بين شارع" پنج رمضان "ومفتري وفائي" / "بنايه" القائمة

تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية)

رقم التسجيل: ٢٣٧٣

الهوية الوطنية: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الإلكتروني: Info@ghaemiyeh.com

المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١)

مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التَّجَارِيَّةُ وَ الْمَبِيعَات ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

ملاحظة هامة:

الميزاتِيةِ الحاليَّةِ لهذا المركز، شَعَبِيَّةٌ، تَبَرُّعِيَّةٌ، غَيْرُ حُكُومِيَّةٍ، وَ غَيْرُ رِبْحِيَّةٍ، اقْتُنِيَّتْ بِاهْتِمَامٍ جَمْعٍ مِنَ الْخَيْرِينَ؛ لَكِنَّهَا لَا تُؤَفِّي الْحُجَمَ الْمُتَزَايِدَ وَ الْمُتَسَعِّعَ لِلْأُمُورِ الدِّيْنِيَّةِ وَ الْعِلْمِيَّةِ الْحَالِيَّةِ وَ مَشَارِيعِ التَّوَسُّعِ الثَّقَافِيَّةِ؛ لِهَذَا فَقَدْ تَرَجَّيَ هَذَا الْمَرْكَزُ صَاحِبَ هَذَا الْبَيْتِ (الْمُسَمَّى بِالْقَائِمِيَّةِ) وَ مَعَ ذَلِكَ، يَرْجُو مِنْ جَانِبِ سَمَاحَةِ بَقِيَّةِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ (عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ الشَّرِيفَ) أَنْ يُوفِّقَ الْكُلَّ تَوْفِيقًا مُتَزَايِدًا لِإِعَانَتِهِمْ - فِي حَدِّ التَّمَكُّنِ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ - إِيَّانَا فِي هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى؛ وَ اللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ.



مجال تمثيل الولي الفقيه في امور الحج و الزياره

www.hajj.ir

مرکز "القائمیة" للتحری الحاسوبی - باصبهان

www.ghaemiyeh.com

